

التفسير المحرر 27-10127-1.0

قال إبراهيم للملائكة: فما الشأنَ الحَطيَرُ الَّذي أرسَلَكُم اللهُ مِن أَجْلِهِ؟

قالوا له: إِنَّا أرسَلنا اللهُ إلى قَوْمٍ كافِرِينَ فاسِدِينَ، وَهَم قَوْمٌ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لَنُمِطَرَ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاءِ حِجارَةً أَصلُها مِن طينٍ، فَنَرْجُمَهُم بها

حِجارَةً مُّعلَمةً عِنْدَ اللهِ تَعَالى، قَدْ أُعِدَّتْ لَأولئِكَ القَوْمِ الَّذينَ تَعَدَّوا حُدُودَ اللهِ

فَلَمَّا أَرَدْنَا إِهْلَاكَ قَوْمِ لُوطٍ أَخْرَجْنَا مَن كان في بَلَدِهِم مِّنَ الْمُؤْمِنينَ بِاللّهِ تَعَالى

فما وَجَدنا في تلكَ القَريةِ غَيْرَ أَهْلِ بَيْتٍ واحِدٍ مِّن أَهْلِ الإِسلامِ وَأَبْقينا في تلكَ القَريةِ عَلامَةً دالَّةً على سُوءِ عاقِبَةِ أَهْلِها، لِلَّذينَ يَخافُونَ عَذابَ اللهِ الْمُؤَلِّمِ المُوجِعِ، فَيَسْتَدِلُّونَ بِذلكَ على قُدرةِ اللهِ تَعَالى وِانتِقامِهِ مِنَ المُجْرِمينَ، وَيَعْتَبِرُونَ وَيَتَّعِظُونَ
وفي قِصَّةِ مُوسى آيَةٌ وَعِبرَةٌ حينَ أرسَلناهُ إلى فِرْعَوْنَ بِحُجَّةٍ واضِحَةٍ ظاهِرَةٍ دالَّةٍ على صِدْقِهِ

فأَعْرَضَ فِرْعَوْنُ عَنِ الحَقِّ وَاتَّباعِهِ، مُسْتَقْبِلاً بِجُنْدِهِ الَّذينَ يَعتَمِدُ عَلَيْهِم، وَيَرَكُنُ إِلَيْهِم في شَدائِدِهِ، وقالَ فِرْعَوْنُ: إِمّا أَن مُوسى ساجِرٌ يَسْحَرُ النَّاسَ، أو هُوَ مَجنونٌ لا عَقْلَ لَهُ!

فأَخَذنا فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ، فَطَرَحْناهُم في البَحْرِ، فَغَرِقُوا وَالحالُ أَن فِرْعَوْنَ قَدْ أَتى بما يُلامُ عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ وَالظُّلْمِ، فَاسْتَحَقَّ عَذابَ اللهِ تَعَالى

وفي قِصَّةِ عادٍ آيَةٌ وَعِبرَةٌ حينَ أرسَلنا عَلَيْهِم الرِّيحَ الشَّديدةَ الَّتِي لا خَيْرَ وَلا بَرَكةَ فيها؛ فلا تُلْقِحُ شَجَرًا، وَلا تَسوقُ مَطَرًا

ما تَتْرُكُ تِلْكَ الرِّيحُ الْعَقِيمُ شَيْئًا مِمَّا تَمُرُّ عَلَيْهِ إِلَّا صَيَّرَتْهُ
كَالْشَّيْءِ الْبَالِي الْيَابِسِ الْمُفْتَتِ!

وَفِي قِصَّةِ نَمُودَ آيَةٌ وَعِبْرَةٌ حِينَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ صَالِحٌ: تَمَتَّعُوا
فِي الدُّنْيَا إِلَى وَقْتِ انْتِهَاءِ آجَالِكُمْ!

فَتَرَكَ كُفَّارُ نَمُودَ أَمْرَ اللَّهِ، وَأَعْرَضُوا عَنْ امْتِنَالِهِ؛ تَكَبَّرًا
مِنْهُمْ، فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ وَالْحَالُ أَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى عُقُوبَةِ
اللَّهِ النَّازِلَةِ بِهِمْ!

فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَفْرِئُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَا أَنْ يَدْفَعُوهُ عَنْ
أَنْفُسِهِمْ! وَمَا كَانَ كُفَّارُ نَمُودَ قَادِرِينَ عَلَى الْإِنْتِصَارِ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ
كَانَتْ!

وَأَهْلَكْنَا قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ تِلْكَ الْأُمَمِ؛ فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ كَذَّبُوا
بِالْحَقِّ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا كَافِرِينَ عُصَاةً، خَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ
تَعَالَى

وَبَنَيْنَا السَّمَاءَ بِقُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ عَظِيمَةٍ، وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ لِأَرْجَاءِ
السَّمَاءِ، مُوسِعُونَ عَلَى خَلْقِنَا بِالرِّزْقِ، قَادِرُونَ عَلَى خَلْقِ مَا
نَشَاءُ خَلْقَهُ

وَبَسَطْنَا الْأَرْضَ وَجَعَلْنَاهَا كَالْفِرَاشِ؛ لِيَسْهُلَ عَلَى الْخَلْقِ
الْإِنْتِفَاعُ بِهَا، فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ نَحْنُ؛ حَيْثُ جَعَلْنَا الْأَرْضَ مَهْدًا
لِأَهْلِهَا، بِتَسْوِيَّتِهَا وَإِصْلَاحِهَا!

وَخَلَقْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ صِنْفَيْنِ؛ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ بِذَلِكَ وَحِدَانِيَّةَ
اللَّهِ تَعَالَى، وَكَمَالَ قُدْرَتِهِ، وَحِكْمَتِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِقَوْمِكَ: فَاهْرُبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ بِالْإِيمَانِ بِهِ،
وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، إِنِّي لَكُمْ مِنَ اللَّهِ

نَذِيرٌ وَاصِحُ النِّذَارَةِ، فَأَحْذَرُكُمْ وَأَخَوْفُكُمْ عِقَابَهُ عَلَى الْكُفْرِ بِهِ وَمَعْصِيَتِهِ!

وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ مَعْبُودًا آخَرَ، بَلْ اخْلُصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، إِنِّي لَكُمْ مِنَ اللَّهِ نَذِيرٌ وَاصِحُ النِّذَارَةِ، فَأَحْذَرُكُمْ وَأَخَوْفُكُمْ مِنْ عِبَادَتِكُمْ غَيْرِهِ

مِثْلَ مَا كَذَّبَتْ قُرَيْشٌ نَبِيَّهَا وَوَصَفَتْهُ بِأَوْصَافٍ بَاطِلَةٍ كَذَبَ كُفَّارُ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ مِنْ قَبْلِ قُرَيْشٍ رُسُلَهُمْ، فَقَالَتْ كُلُّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ لِرُسُولِهِمْ: هُوَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ!

هَلْ أَوْصَى الْكُفَّارُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِذَلِكَ الْقَوْلِ، فَاتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى تَكْذِيبِ رُسُلِهِمْ، وَوَصَفَهُمْ بِالسِّحْرِ أَوْ الْجُنُونِ؟ أَلَمْ يُوصِ الْكُفَّارُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا اتَّفَقَتْ أَقْوَالُهُمْ فِي هَذَا الشَّأْنِ؛ لَاسْتِرَاكِهَمُ فِي صِفَةِ الطُّغْيَانِ، فَجَمِيعُهُمْ مُتَعَدُّونَ أَمْرَ اللَّهِ، مُتَجَاوِزُونَ لِحُدُودِهِ

فَأَعْرَضَ -يَا مُحَمَّدُ- عَنْ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ الْمُعَانِدِينَ لِلْحَقِّ رَغَمَ ظُهُورِهِ، وَقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، فَلَسْتُ بِمَلُومٍ مِنَ اللَّهِ؛ فَقَدْ بَلَّغْتَهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ، وَنَصَحْتَهُمْ لَهُمْ، وَلَمْ يَقَعْ مِنْكَ تَفْرِيطٌ فِي دَعْوَتِهِمْ

وَذَكَرَ -يَا مُحَمَّدُ- فَإِنَّ التَّذْكَيرَ يَنْفَعُ حَقًّا أَهْلَ الْإِيمَانِ
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ عِبَادَتِي وَحْدِي؛ لِيَتَذَلَّلُوا وَيَخْضَعُوا لِي بِطَاعَتِي

مَا أُرِيدُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَيَّ رِزْقٍ؛ لَا لِي، وَلَا لَأَنْفُسِهِمْ، وَلَا لِغَيْرِهِمْ، وَلَا أُرِيدُ مِنْهُمْ أَنْ يُطِيعُونِي؛ لِأَنِّي مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَكْلِ، وَلَا أَنْ يُطِيعُوا أَنْفُسَهُمْ وَلَا غَيْرَهُمْ، فَلْيَسْتَغِلُّوا بِعِبَادَتِي

إِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الرَّزَّاقُ لَجَمِيعِ خَلْقِهِ؛ فهم الْمُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ
في جميع أحوالهم

فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا فَأَشْرَكُوا بِاللَّهِ مِنْ قُرَيْشٍ أَوْ غَيْرِهِمْ نَصِيبًا
وَإِفْرًا مِنَ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلَ نَصِيبِ أَمْثَالِهِمْ مِنْ كُفَّارِ الْأُمَمِ
الْمَاضِيَةِ؛ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِي بِالْعَذَابِ؛ فَإِنَّهُ نَازِلٌ بِهِمْ فِي وَقْتِهِ
الْمُقَدَّرِ لَهُ لَا مَحَالَةَ

فَعَذَابٌ وَهَلَاكٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ
بُنْزُولِ الْعَذَابِ فِيهِ!

أَقْسِمُ بِجَبَلٍ طُورِ سَبَاءٍ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَأَقْسِمُ بِكِتَابٍ مُسَطَّرٍ مَكْتُوبٍ

وَالكِتَابِ الْمَسْطُورِ فِي وَرَقٍ مَبْسُوطٍ غَيْرِ مَطْوِيٍّ، وَهُوَ
الْقُرْآنُ

وَأَقْسِمُ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ
وَأَقْسِمُ بِالسَّمَاءِ الَّتِي رَفَعَ اللَّهُ بُنْيَانَهَا، وَجَعَلَهَا سَقْفًا لِلْأَرْضِ
مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا

وَأَقْسِمُ بِالْبَحْرِ الْمَمْلُوءِ مَاءً، الْمَمْنُوعِ مِنْ أَنْ يَفِيضَ عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ فَيُغْرَقَ أَهْلُهَا

أَقْسِمُ بِتِلْكَ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَنَّ عَذَابَ رَبِّكَ -يَا مُحَمَّدُ- لَوَاقِعٌ
وَنَازِلٌ حَتْمًا بِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ

مَا لِذَلِكَ الْعَذَابِ مِنْ دَافِعٍ يَدْفَعُهُ عَنْ أَهْلِهِ، فَيُنْقِذُهُمْ مِنْهُ!
يَوْمَ تَتَحَرَّكُ السَّمَاءُ وَتَضْطَرِبُ، وَتَذْهَبُ وَتَجِيءُ، وَذَلِكَ كَائِنٌ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ!

وَتَذْهَبُ الْجِبَالُ وَتَزُولُ عَنْ أَمَاكِنِهَا، فَتَصِيرُ هَبَاءً!
فَعَذَابٌ وَهَلَاكٌ شَدِيدٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ!

الَّذِينَ هُمْ فِي الدُّنْيَا مُنْعَمُونَ فِي الْبَاطِلِ، فَيَتَخَبَّطُونَ فِيهِ
بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، غَافِلُونَ عَنِ الْآخِرَةِ
يَوْمَ يُدْفَعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَفْعًا شَدِيدًا عَنِيقًا!
وَيُقَالُ لَهُمْ: هَذِهِ هِيَ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تُكَذِّبُونَ بِهَا
أَهَذَا الَّذِي تَرَوْنَهُ الْآنَ سِحْرٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَهُ
بِأَعْيُنِكُمْ؟!

ادْخُلُوا النَّارَ وَذُوقُوا حَرَّهَا، فَسَوَاءٌ عَلَيْكُمْ الصَّبْرُ وَالْجَزَعُ؛
فَإِنَّكُمْ لَنْ تَنْتَفِعُوا فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ بِالصَّبْرِ وَلَا بِالْجَزَعِ! إِنَّمَا
تُعَذِّبُونَ فِي النَّارِ بِسَبَبِ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ
وَالْتَّكْذِيبِ؛ فَالْأَمْرُ جَارٍ عَلَيْكُمْ بِالْعَدْلِ، وَلَمْ يَظْلِمْكُمْ اللَّهُ شَيْئًا!
إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا سَخَطَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ، بِامْتِثَالِ مَا أَمَرَ بِهِ، وَاجْتِنَابِ
مَا نَهَى عَنْهُ: فِي جَنَاتٍ وَنَعِيمٍ عَظِيمٍ فِي الْآخِرَةِ
مُعْجَبِينَ بِمَا أَعْطَاهُمْ رَبُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ مِنَ النِّعَمِ، وَمُتَمَتِّعِينَ
بِهِ، فَرَحِينَ مَسْرُورِينَ بِذَلِكَ، وَقَدْ نَجَّاهُمْ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ
يُقَالُ لِلْمُتَّقِينَ: كُلُوا مِنْ طَعَامِ الْجَنَّةِ، وَاشْرَبُوا مِنْ شَرَابِهَا،
مُتَهَنِّئِينَ بِذَلِكَ بَلَا أَدَى وَلَا تَنْغِيصٍ، وَلَا نَكْدٍ وَلَا كَدَرٍ؛ بِسَبَبِ مَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الصَّالِحَاتِ
مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ قَدْ جُعِلَتْ صُفُوفًا، وَزَوْجْنَا الْمُتَّقِينَ بَنَسَاءٍ
بِيضٍ، شَدِيدٍ سَوَادٍ أَعْيُنُهُنَّ وَبَيَاضُهَا، عَظِيمَاتِ الْأَعْيُنِ مَعَ
حُسْنِهَا وَاتِّسَاعِهَا

وَالَّذِينَ آمَنُوا أَلْحَقْنَا بِهِمْ أَوْلَادَهُمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ،
فَجَعَلْنَاهُمْ مَعَهُمْ فِي دَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ لَمْ يَعْمَلُوا كَعَمَلِ
آبَائِهِمْ، وَمَا نَقَصْنَا الْآبَاءَ مِنْ أَجُورِ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ شَيْئًا حِينَ
جَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُمْ مَعَهُمْ فِي الْجَنَّةِ! كُلُّ نَفْسٍ تَنَالُ جَزَاءَهَا وَفَوْقَ مَا

عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا، وَكُلُّ إِنْسَانٍ يُعَاقَبُ بِذُنُوبِهِ، وَلَا يُؤَاخَذُ بِذَنْبٍ غَيْرِهِ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَقَارِبِهِ

وَزِدْنَا الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ فَضْلِنَا، فَأَعْطَيْنَاهُمْ فَاكِهَةً وَلَحْمًا مِمَّا يَشْتَهُونَهُ وَيَسْتَلِدُّونَهُ

يَتَعَاطُونَ فِيهَا كَأْسَ الشَّرَابِ الْمَمْلُوءَةَ بِالْخَمْرِ، لَا يَقَعُ مِنْهُمْ بِسَبَبِ الشُّرْبِ هَذْيَانٌ وَكَلَامٌ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، وَلَا يَأْتُمُّ شَارِبُهَا بِشُرْبِهَا، وَلَا يُؤْتِمُّه أَحَدٌ، وَلَا يَحْمِلُهُ شُرْبُهَا عَلَى أَنْ يَفْعَلَ إِثْمًا، بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا

وَيَطُوفُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ غِلْمَانٌ لَخِدْمَتِهِمْ، وَهُمْ فِي حُسْنِهِمْ وَبَيَاضِهِمْ، وَصَفَائِهِمْ وَبِهَائِهِمْ وَنِظَافَتِهِمْ: مِثْلُ اللُّؤْلُؤِ الْمَصُونِ فِي صَدَفِهِ

وَأَقْبَلَ بَعْضُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى بَعْضٍ يَتَحَادَثُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَيَتَسَاءَلُونَ عَنْ أحوَالِهِم الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا
قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّا كُنَّا فِي الدُّنْيَا بَيْنَ أَهْلِنَا خَائِفِينَ وَحَذِرِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ!

فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا بِفَضْلِهِ فَهَدَانَا، وَنَجَّانَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ
إِنَّا كُنَّا فِي الدُّنْيَا نَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى وَحَدَّه دُعَاءَ عِبَادَةٍ وَدُعَاءَ مَسْأَلَةٍ، وَنَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ؛ فَأَجَابَ دُعَاءَنَا فَوْقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ، وَأَدْخَلَنَا دَارَ النَّعِيمِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ اللَّطِيفُ بَعْبَادِهِ، الْوَاسِعُ الْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ، الْبَالِغُ الرَّحْمَةُ بِهِمْ

فَذَكِّرِ النَّاسَ -يَا مُحَمَّدٌ- بِالْقُرْآنِ؛ فَلَسْتُ -بِإِنْعَامِ اللَّهِ عَلَيْكَ-
بِكَاهِنٍ تَدَّعِي عِلْمَ الْغَيْبِ، وَلَسْتُ بِمَجْنُونٍ فَاقِدٍ لِلْعَقْلِ كَمَا يَزْعُمُونَ، بَلْ مَا تَقُولُهُ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

أَمْ يَقُولُ مُشْرِكُو قَرَيْشٍ: مُحَمَّدٌ شَاعِرٌ نَنْتَظِرُ بِهِ حَوَادِثَ الدَّهْرِ
وَقَوَارِعَهُ، فَيَمُوتُ وَيَهْلِكُ كَمَا هَلَكَ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ،
وَنَسْتَرِيحُ مِنْهُ وَمِنْ شَأْنِهِ؟!

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ- لأُولَئِكَ الْمُشْرِكِينَ: انْتَظِرُوا مَا يُصِيبُنِي مِنَ
الْهَلَاكِ؛ فَإِنِّي أَيْضًا مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ مَا يُصِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ،
وَسَنَعْلَمُ لِمَنْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ الْحَسَنَةُ!

هَلْ أَمَرْتَهُمْ عُقُولُهُمْ بِهَذَا التَّكْذِيبِ لِلرَّسُولِ، وَوَصَفِهِ
بِالْبَاطِلِ؟! أَمْ هُمْ قَوْمٌ تَجَاوَزُوا حُدُودَ اللَّهِ، فَحَمَلَهُمْ طُغْيَانُهُمْ هَذَا
عَلَى تَكْذِيبِ الرَّسُولِ، وَرَمِيهِ بِالْبَاطِلِ؟!

أَمْ يَقُولُونَ: اخْتَلَقَ مُحَمَّدٌ الْقُرْآنَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، وَنَسَبَهُ إِلَى
اللَّهِ تَعَالَى كَذِبًا؟! لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُونَ، بَلْ هُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ
بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَوْ آمَنُوا لَمَا قَالُوا مَا قَالُوا
فَلْيَأْتِ الْمُشْرِكُونَ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي
دَعْوَاهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ وَتَقَوْلُهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ، فَإِنْ عَجَزُوا عَنْ
ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ كَاذِبُونَ

أَمْ خُلِقَ أُولَئِكَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ يَخْلُقُهُمْ؟! أَمْ هُمْ
الْخَالِقُونَ لأنْفُسِهِمْ أَوْ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ؟!

أَمْ هُمُ الَّذِينَ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟! لَمْ يَخْلُقِ الْمُشْرِكُونَ
ذَلِكَ، وَلَكِنْ عَدَمُ يَقِينِهِمْ بِالْحَقِّ هُوَ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى تَرْكِهِ،
وَالْوُقُوعِ فِي الْبَاطِلِ

أَمْ عِنْدَ أُولَئِكَ الْمُشْرِكِينَ خَزَائِنُ اللَّهِ -يا مُحَمَّدٌ- مِنَ الرَّحْمَةِ
وَالْأَرْزَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؟! أَمْ هُمْ الْمُتَسَلِّطُونَ فِي الدُّنْيَا بِتَدْبِيرِ
الْأُمُورِ، وَفَهْرِ النَّاسِ، وَالتَّصَرُّفِ فِي إِعْطَائِهِمْ وَمَنْعِهِمْ؟!

أَمْ لَهُمْ سُُلْمٌ يَصْعَدُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ؛ لِيَسْتَمِعُوا فِيهِ إِلَى الْوَحْيِ
أَوْ الْغَيْبِ؟! فَلَيَأْتِ مَنْ اسْتَمَعَ مِنْهُمْ إِذَنْ بِحُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ تُبَيِّنُ أَنَّهُمْ
عَلَى الْحَقِّ فِيمَا يَدَّعُونَ

أَمْ لِلَّهِ -سُبْحَانَهُ- الْبَنَاتُ، كَمَا ادَّعَيْتُمْ وَزَعَمْتُمْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ
اللَّهِ، وَلَكُمْ الْبَنُونَ الَّذِينَ تَفْضِلُونَهُمْ عَلَى الْبَنَاتِ، فَنَسَبْتُمْ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى الْأُنْقَاصَ لَدَيْكُمْ؟!!

أَمْ تَسْأَلُهُمْ -يَا مُحَمَّدٌ- مَا لَمْ يُقَابِلْ دَعْوَتَكَ لَهُمْ إِلَى الْحَقِّ، أَوْ
انْقِيَادَهُمْ إِلَيْهِ؛ فَهُمْ بِسَبَبِ مَشَقَّةٍ مَا كَلَّفْتَهُمْ مِنْ أَمْوَالٍ لَا يَسْتَجِيبُونَ
لَكَ؟!!

أَمْ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ عِلْمٌ مَا غَابَ عَنِ النَّاسِ، فَهُمْ يَكْتُبُونَهُ؟!
أَمْ يُرِيدُ أُولَئِكَ أَنْ يَكِيدُوا كَيْدًا يُبْطِلُونَ بِهِ الْحَقَّ؟! فَالَّذِينَ كَفَرُوا
هُمْ الَّذِينَ يُكَادُ بِهِمْ فِي الْحَقِيقَةِ، وَبِالْ كَيْدِهِمْ عَائِدٌ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
أَمْ لَهُمْ مَعْبُودٌ آخَرُ غَيْرُ اللَّهِ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ، فَهُمْ يَعْبُدُونَهُ؟!
تَنْزَّهَ اللَّهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْعِبَادَةِ
وَإِنْ يَرِ الْمُشْرِكُونَ قِطْعًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطَةً عَلَيْهِمْ، يَقُولُوا:
هَذَا سَحَابٌ تَرَакَمَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يُؤْمِنُوا بِأَنَّهُ عَذَابٌ مِنَ
اللَّهِ تَعَالَى!

فَاتْرُكْ -يَا مُحَمَّدٌ- هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُعَانِدِينَ حَتَّى يُلَاقُوا
الْيَوْمَ الَّذِي فِيهِ يَمُوتُونَ وَيُهْلَكُونَ
يَوْمَ لَا يَنْفَعُهُمْ كَيْدُهُمُ الَّذِي كَادُوا بِهِ الْحَقَّ شَيْئًا! وَلَا أَحَدٌ
يَنْصُرُهُمْ؛ فَيُنْجِيَهُمْ وَيَنْقِذَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ!
وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ بِاللَّهِ تَعَالَى عَذَابًا قَبْلَ ذَلِكَ
الْيَوْمِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الْكَافِرِينَ لَا يَعْلَمُونَ مَا سَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ
الْعَذَابِ الْوَاقِعِ بِهِمْ لَا مَحَالَةَ!

واصبر -يا محمد- لحُكْمِ رَبِّكَ الْقَدَرِيِّ -مِمَّا قَدَّرَهُ عَلَيْكَ مِنْ ظُلْمٍ يُصِيبُكَ، وَأَدَّى يَنَالُكَ- وَلِحُكْمِهِ الشَّرْعِيِّ؛ بَلْزُومِهِ، وَالْإِسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ، وَتَبْلِيغِ رِسَالَةِ اللَّهِ؛ فَإِنَّكَ بِمَرَأَى مَنَا، نَحْوَتُكَ وَنَحْفَتُكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَكَيْدٍ، وَنَزَّهَ رَبُّكَ -يا محمد- عَنِ النَّقَائِصِ تَنْزِيهًا مُقْتَرِنًا بِوَصْفِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا لَهُ؛ حِينَ تَقُومُ

وَسَبَّحَ رَبَّكَ -يا محمد- فِي بَعْضِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ، وَسَبَّحَهُ أَيْضًا حِينَ تَمِيلُ النُّجُومُ لِلْمَغِيبِ
أَقْسِمُ بِالنَّجْمِ إِذَا سَقَطَ

مَا حَادَّ صَاحِبُكُمْ مُحَمَّدٌ -يا قُرَيْشُ- عَنِ الْحَقِّ، وَمَا زَالَ عَنْ اعْتِقَادِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَمَا صَارَ غَاوِيًا مُتَّبِعًا لِهَوَاهُ، بَلْ هُوَ مُهْتَدٍ فِي عِلْمِهِ، رَاشِدٌ فِي عَمَلِهِ
وَمَا يَصْدُرُ كَلَامُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ هَوَى فِي نَفْسِهِ

مَا نُطِقَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدِّينِ إِلَّا وَحْيٌ يُوحِيهِ اللَّهُ إِلَيْهِ، فَيَتَّبِعُهُ فِي نَفْسِهِ، وَيُبَلِّغُهُ لِغَيْرِهِ دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصٍ
عَلَّمَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْقُرْآنَ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- الشَّدِيدُ الْقُوَى

وَجِبْرِيلُ ذُو جِسْمٍ قَوِيٍّ صَحِيحٍ، سَالِمٍ مِنَ النَّقْصِ، حَسَنُ الْخَلْقِ، جَمِيلُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَارْتَفَعَ وَعَلَا فِي السَّمَاءِ عَلَى صُورَتِهِ الْحَقِيقَةِ

وَجِبْرِيلُ فِي نَاحِيَةِ السَّمَاءِ الْعُلْيَا

ثُمَّ اقْتَرَبَ جِبْرِيلُ مِنْ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَتَدَلَّى إِلَيْهِ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ أَكْثَرَ حِينَ هَبَطَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ؛ لِيُوحِيَ إِلَيْهِ مَا شَاءَ اللَّهُ

فَكَانَ مَقْدَارُ مَسَافَةِ قُرْبِ جِبْرِيلَ مِنْ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْرَ قَوْسَيْنِ، أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ!

فَأَوْحَى جِبْرِيلُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

مَا كَذَبَ قَلْبُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا رَأَاهُ بِبَصَرِهِ، بَلْ صَدَقَهُ، وَتَحَقَّقَهُ وَعَلِمَهُ يَقِينًا

أَفْتَجَادِلُونَ مُحَمَّدًا -يَا كُفَّارَ قُرَيْشٍ- عَلَى مَا أَخْبَرَكُمْ أَنَّهُ رَأَاهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ؟!

وَلَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ جِبْرِيلَ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى صُورَتِهِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا

رَأَى مُحَمَّدٌ جِبْرِيلَ عِنْدَ شَجَرَةِ نَبْقٍ عَظِيمَةٍ فِي السَّمَاءِ تُسَمَّى سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى

عِنْدَ شَجَرَةِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى الْجَنَّةُ الَّتِي يَأْوِي وَيَصِيرُ إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

رَأَى مُحَمَّدٌ جِبْرِيلَ حِينَ غَشِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى مَا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى!

مَا مَالَ بَصَرُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَلَا تَجَاوَزَ الْحَدَّ الَّذِي رَأَاهُ

لَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ وَعَجَائِبِ مُلْكِهِ الْآيَاتِ الْكُبْرَى أَفَرَأَيْتُمْ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- اللَّاتَ وَالْعُزَّى

وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَتَزْعُمُونَ
أَنَّهَا بَنَاتٌ لِلَّهِ تَعَالَى؟

أَتَخْتَارُونَ لِأَنْفُسِكُمْ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- صِنْفَ الذَّكُورِ مِنَ
الْأَوْلَادِ، فَتُفَضِّلُونَهُمْ عَلَى الْإِنَاثِ، وَتَنْسُبُونَ لِلَّهِ تَعَالَى الْإِنَاثَ
الَّتِي تَكْرَهُنَّ وَلَا تَرْضَوْنَ بِهِنَّ بَنَاتٍ لَكُمْ؟!

قَسَمْتُكُمْ تِلْكَ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- قِسْمَةً جَائِزَةً ظَالِمَةٌ مَائِلَةٌ عَنِ
الْحَقِّ وَالصَّوَابِ!

ما هذه الأسماءُ الَّتِي سَمَّيْتُمْ بِهَا أَصْنَامَكُمْ -اللَّاتُ وَالْعُزَّى
وَمَنَاةَ- إِلَّا أَسْمَاءٌ لَا مَعَانِيَ تَحْتَهَا، وَلَا حَقِيقَةَ لَهَا، وَإِنَّمَا
اخْتَرْتُمْ عُشْمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّهَا آلِهَةٌ، وَادَّعَيْتُمْ أَنَّهَا بَنَاتُ
اللَّهِ! وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِذَلِكَ مِنْ حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ يَدُلُّ عَلَى مَا زَعَمْتُمْ
وَادَّعَيْتُمْ بِشَأْنِهَا! مَا يَتَّبِعُ الْمُشْرِكُونَ إِلَّا الْوَهْمَ وَمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ
أَنْفُسُهُمْ مِنَ الْبَاطِلِ، بَلَا عِلْمٍ وَبِقِيْنٍ، وَلَا حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ، وَلَقَدْ جَاءَ
أُولَئِكَ الْمُشْرِكِينَ الْهُدَى مِنْ رَبِّهِمْ؛ إِذْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ وَفِيهِ
الْأَمْرُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَبَيَانُ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ

أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا يَتَمَنَّى وَيَسْتَهْيه مِنَ الْخَيْرِ؟!

فَلِلَّهِ وَحْدَهُ مُلْكُ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا، وَلَهُ وَحْدَهُ مُطْلَقُ التَّصَرُّفِ
فِيهَا؛ فَيُعْطِي مَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ، وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ؛ فَالْأَمْرُ
كَمَا يُرِيدُ الرَّحْمَنُ، لَا كَمَا يَتَمَنَّى الْإِنْسَانُ

وَمَا أَكْثَرَ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ فِي السَّمَوَاتِ، وَلَا تَنْفَعُ شَفَاعَتُهُمْ
شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ فِي الشَّفَاعَةِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، وَبَعْدَ
رِضَاهُ عَنِ الْمَشْفُوعِ لَهُمُ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ!

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ مَلَائِكَةَ اللَّهِ إِنَاتًا،
وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ!

وما للمشركين بإدعائهم أَنَّ الملائكة بناتُ الله من عِلْمِ صَحيح
يَعْتَمِدُونَ عليه في إثباتِ صَحَّةِ دَعَواهم؛ كمْشاهدةٍ لَخَلْقِهِمْ، أو
قراءةٍ ذلك في كِتَابٍ من كُتُبِ الله، أو سَمَاعِ رَسولٍ يُخْبِرُهُم
بِصدقِ ما يَزْعُمُونَ، ما يَتَّبِعُونَ في زَعْمِهِمْ هذا إِلَّا الوَهْمَ الكاذِبَ
بغيرِ عِلْمٍ ولا يَقِينٍ! وإنَّ الظَّنَّ المَبْنِيَّ على الوَهْمِ لا يُفِيدُ شَيْئًا مِنَ
الحَقِّ، أو يَقومُ مَقامَهُ

فأَعْرِضْ -يا مُحَمَّدُ- عَمَّنْ أَعْرِضَ عن القرآنِ ولم يَطْلُبْ إِلَّا
الحياةَ الدُّنيا وَلذاتِها

طَلَبَ الدُّنيا والسَّعْيُ لها: هو مُنتهى عِلْمِهِمْ وغايَتُهُ؛ فليس لهم
عِلْمٌ فَوْقَ ذلك، إِنَّ رَبَّكَ -يا مُحَمَّدُ- هو أَعْلَمُ بِمَنْ حَادَ عن طَرِيقِهِ
فلم يَتَّبِعِ الحَقَّ، وهو أَعْلَمُ بِالَّذِينَ اهْتَدَوْا إلى الحَقِّ
وللهِ وَحْدَهُ مُلْكُ جَمِيعِ ما في السَّمَوَاتِ وما في الأرضِ؛
لِيَجْزِيَ اللهَ الَّذِينَ أَسَأَوْا العَمَلَ جَزَاءَ ما عَمِلُوهُ مِنْ كُفْرٍ أو
عِصْيَانٍ، وَلِيُنِيبَ اللهُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا العَمَلَ فَاْمَنُوا به وأطاعوه
المُتَوَبِّةَ الحُسْنَى، وهي الجَنَّةُ

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عن كَبائِرِ الذُّنُوبِ، وعن الفَوَاحِشِ، كالزَّنا،
إِلَّا صَغَائِرَ الذُّنُوبِ دونَ إِصرارٍ عليها، فهي مَعْفُورٌ عنها، وليس
ذلك بِمُخْرَجٍ لِصَاحِبِها مِنْ جُمْلَةِ المُحْسِنِينَ، إِنَّ رَبَّكَ -يا مُحَمَّدُ-
واسِعُ المَغْفِرَةِ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ، فَيَسْتُرُها عليهم، وَيَتَجَاوَزُ عن
مُؤاخَذَتِهِمْ بها، وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ حينَ خَلَقَ أَباكُم آدَمَ مِنَ الأرضِ
قَبْلَ أنْ تُوجَدُوا، وَحينَ كُنْتُمْ حَمَلًا مَسْتَوْرِينَ في بُطُونِ أُمَّهاتِكُم
قَبْلَ أنْ تُوَلَدُوا، فلا تَشْهَدُوا لأنفُسِكُم بِالْبَرَاءَةِ مِنَ الذُّنُوبِ والآثامِ،
أو تَمْدَحُوا بِحُسْنِ الأَعْمَالِ، فاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى سَخَطَهُ وَعَذابَهُ
مِنْكُمْ، فامْتَثِلْ أوامِرَهُ، واجتَنِبْ نواهِيَهُ

أَفَرَأَيْتَ -يَا مُحَمَّدُ- الَّذِي أَعْرَضَ عَنِ الْحَقِّ!
وَأَعْطَى قَلِيلًا مِنَ الْخَيْرِ ثُمَّ انْقَطَعَ عَنْهُ، وَلَمْ يَسْتَمِرَّ عَلَى ذَلِكَ!
أَعِنْدَهُ عِلْمٌ مَا غَابَ عَنِ النَّاسِ، فَهُوَ يَرَاهُ؟!
أَمْ لَمْ يُخَبِّرْ هَذَا الْكَافِرُ بِمَا فِي التَّوْرَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى
مُوسَى؟

أَمْ لَمْ يُخَبِّرْ أَيْضًا بِمَا فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي أَطَاعَ اللَّهَ تَعَالَى
فِي جَمِيعِ أَمْرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَأَكْمَلَ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ الَّتِي فَرَضَهَا
اللَّهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهَا شَيْئًا؟

وَذَلِكَ الَّذِي فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى هُوَ أَنَّهُ لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ
آثِمَةً ذَنْبَ نَفْسٍ أُخْرَى؛ فَكُلُّ إِنْسَانٍ يُجَازَى بِعَمَلِهِ، وَلَا يَحْمِلُ ذَنْبَ
غَيْرِهِ

وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلْمَرءِ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَا عَمِلَهُ فِي الدُّنْيَا
وَأَنَّ عَمَلَ كُلِّ عَامِلٍ سَوْفَ يُرَى وَيُشَاهَدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
ثُمَّ يُجْزَاهُ اللَّهُ عَلَى سَعْيِهِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَرَ النَّاتِمَ
وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ -يَا مُحَمَّدُ- مَرْجِعَ وَمَصِيرَ جَمِيعِ الْعِبَادِ، لَا إِلَى

غَيْرِهِ
وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَضْحَكَكَ وَأَبْكَى مَنْ شَاءَ أَنْ يُضْحِكَهُمْ
أَوْ يُبْكِيَهُمْ

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَمَاتَ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَحْيَا مَنْ
شَاءَ مِنْهُمْ

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ الصِّنْفَيْنِ: الذَّكَرَ، وَالْأُنْثَى
خَلَقَ اللَّهُ الصِّنْفَيْنِ -الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى- مِنْ نُطْفَةٍ مِنْنِي حِينَ نُصِبَتْ
وَتُرَاقٍ فِي الْأَرْحَامِ

وَأَنَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ النَّاسَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، فَيُعِيدَهُمْ أَحْيَاءَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَغْنَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَجَعَلَ لِمَنْ
شَاءَ مِنْهُمْ مَا يَقْتَنِيهِ وَيَدَّخِرُهُ بَعْدَ كِفَايَتِهِ
وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ نَجْمِ الشَّعَرَى الْمُضِيِّ، وَمَالِكُهُ
وَمُدَبِّرُ شَأْنِهِ

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَهْلَكَ قَبِيلَةَ عَادٍ؛ قَوْمَ هُودٍ!
وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَهْلَكَ قَبِيلَةَ ثَمُودَ؛ قَوْمَ صَالِحٍ، فَمَا أَبْقَى مِنْهُمْ
أَحَدًا!

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَهْلَكَ بِالْعَرَقِ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ عَادٍ وَثَمُودَ! إِنَّ
قَوْمَ نُوحٍ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ ظُلْمًا، وَأَعْظَمَ كُفْرًا وَطُغْيَانًا مِنْ غَيْرِهِمْ
وَقَرْيَةَ قَوْمَ لُوطٍ أَسْقَطَهَا جَبْرِيلُ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا
فَعَطَى تِلْكَ الْقَرْيَةَ مَا غَطَّاهَا مِنَ الْحَجَارَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ عَلَيْهِمْ
فَبَآيَ نَعَمَ رَبِّكَ - أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - ثَرَاتُكَ وَتُسْكُكُ، وَتُكْدِبُ
وَتُجَادِلُ؟!

هَذَا الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَذِيرٌ لِلنَّاسِ مِنْ
جِنْسٍ مَنْ سَبَقَ مِنَ الرُّسُلِ

قُرْبَتْ وَدَنَتْ الْقِيَامَةُ الْقَرِيبَةُ مِنْكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ!
لَا يَدْفَعُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَحَدٌ، وَلَا يَطْلُعُ عَلَى عِلْمِهَا سِوَاهُ
أَفَمِنْ هَذَا الْقُرْآنِ تَعْجَبُونَ، أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ؟!
وَتَضْحَكُونَ مِنَ الْقُرْآنِ اسْتِهْزَاءً، وَلَا تَبْكُونَ انْزِجَارًا
وَحَوْفًا؟!

وَأَنْتُمْ غَافِلُونَ لَا هُؤُنَ
فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ خَاضِعِينَ لَهُ، وَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ

دَنَتِ الْقِيَامَةُ الَّتِي يَبْعَثُ اللَّهُ فِيهَا عِبَادَهُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ! وَقَدْ
انْفَلَقَ الْقَمَرُ، فَصَارَ فِلَقَتَيْنِ بَاذِنِ اللَّهِ؛ تَأْيِيدًا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

وَإِنْ يَرِ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ عَلاَمَةً بَاهِرَةً تَدُلُّهُمْ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّةِ
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعْرِضُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا، وَيَقُولُوا
مُنْكَرِينَ لَهَا: هَذَا الَّذِي يُرِينَا مُحَمَّدٌ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ -كَانَشِقَاقِ
الْقَمَرِ- سِحْرٌ ذَاهِبٌ بَاطِلٌ لَا قَرَارَ لَهُ، وَخِيَالٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ!

وَكَذَّبُوا بِالْحَقِّ، وَاتَّبَعُوا مَا يَشْتَهُونَهُ وَيَخْتَارُونَهُ مِنَ الْبَاطِلِ
بِلا دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ، وَكُلُّ أَمْرٍ لَا بُدَّ أَنْ يَسْتَقِرَّ فِي نَهَائِيَتِهِ إِلَى
غَايَةٍ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ؛ فَالْحَقُّ ثَابِتٌ، وَالْبَاطِلُ زَائِلٌ، وَأَهْلُ
الْخَيْرِ يَسْتَقِرُّونَ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ الشَّرِّ يَسْتَقِرُّونَ فِي النَّارِ
وَلَقَدْ جَاءَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لِرُسُلِهَا،
وَمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ مَا فِيهِ زَجْرٌ لَهُمْ وَانْتِهَاءٌ يَرُدُّهُمْ عَنِ
الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَالتَّكْذِيبِ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ

حِكْمَةٌ تَامَّةٌ كَامِلَةٌ -قَدْ بَلَغَتِ الْغَايَةَ، فَلَا نَقْصَ فِيهَا وَلَا خَلَلَ-،
وَاصِلَةٌ إِلَى الْمَقْصُودِ مِنْهَا، فَمَا تَنْفَعُهُمُ النُّذُرُ وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنِ
الْآيَاتِ

فَأَعْرَضَ -يَا مُحَمَّدٌ- عَنْ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ الْمُعَانِدِينَ يَوْمَ يَدْعُو
دَاعِي اللَّهِ النَّاسَ إِلَى مَوْقِفٍ فَظِيعٍ، شَدِيدِ الْبَلَاءِ، كَثِيرِ الْأَهْوَالِ،
لَمْ يُشَاهِدِ النَّاسُ لَهُ نَظِيرًا

يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ وَالْحَالُ أَنَّ أَبْصَارَهُمْ ذَلِيلَةٌ خَاضِعَةٌ؛
مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِمْ وَفَرَعِهِمْ! يَخْرُجُونَ مِنَ الْقُبُورِ، فَيَتَوَجَّهُونَ إِلَى
مَوْقِفِ الْحِسَابِ، وَكَأَنَّهُمْ فِي انْتِشَارِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ

يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ مُقْبِلِينَ مُسْرِعِينَ إِلَى الدَّاعِي؛ تَلِيَّةً
لِنِدَائِهِ، يَقُولُ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَذَا يَوْمٌ فِي غَايَةِ الْعُسْرِ
وَالصُّعُوبَةِ وَالشَّدَّةِ

كَذَّبَتْ قَبْلَ كُفَّارِ فُرَيْشٍ قَوْمُ نُوحٍ، فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا نُوحًا حِينَ
أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهِمْ، وَقَالُوا عَنْهُ: هُوَ مَجْنُونٌ. وَزَجَرُوهُ بِشَدَّةٍ وَعُنْفٍ
فَدَعَا نُوحٌ رَبَّهُ قَائِلًا: إِنَّ قَوْمِي غَلَبُونِي بِتَمَرُّدِهِمْ وَكُفْرِهِمْ،
وَتَكْذِيبِهِمْ وَتَخْوِيفِهِمْ؛ فَاَنْتَصِرْ لِي مِنْهُمْ!

فَاسْتَجَبْنَا لِنُوحٍ دُعَاءَهُ عَلَى قَوْمِهِ، فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ
مُتَدَفِّقٍ مُنْصَبٍّ بكَثْرَةٍ وَشِدَّةٍ

وَأَنْبَغْنَا الْمَاءَ بِقُوَّةٍ وَكَثْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَالْتَقَى مَاءُ السَّمَاءِ
وَمَاءُ الْأَرْضِ عَلَى أَمْرٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَضَاهُ!

وَحَمَلْنَا نُوحًا عَلَى سَفِينَةٍ ذَاتِ أَلْوَاحٍ مِنْ خَشَبٍ، وَذَاتِ
مَسَامِيرٍ قَدْ رُبِطَتْ بِهَا تِلْكَ الْأَلْوَاحُ

تَجْرِي سَفِينَةُ نُوحٍ عَلَى الْمَاءِ بِمَرَأَى مِنَّا، وَحِفْظٍ وَرَعَايَةٍ مِنَّا.
فَأَغْرَقْنَا قَوْمَ نُوحٍ وَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ؛ ثَوَابًا لِنُوحٍ عَلَى صَبْرِهِ
عَلَى أذى قَوْمِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِهِ

وَلَقَدْ تَرَكْنَا فَعَلْتُنَا بِقَوْمِ نُوحٍ وَإِهْلَاكُنَا لَهُمْ عِبْرَةً وَعِظَةً لِمَنْ
بَعْدَهُمْ لِيَنْتَهَوْا عَنِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَالتَّكْذِيبِ بِرُسُلِهِ؛ كَيْلًا تَكُونَ
عَاقِبَتُهُمْ مِثْلَ عَاقِبَةِ قَوْمِ نُوحٍ، وَأَبْقَيْنَا جِنْسَ السُّفُنِ عِلَامَةً عَلَى
رَحْمَةِ اللَّهِ وَعَنَانِيَّتِهِ بِخَلْقِهِ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَبَدِيعِ صَنْعَتِهِ، وَعِبْرَةً
عَلَى مَا جَرَى لِنُوحٍ مَعَ قَوْمِهِ، فَهَلْ مِنْ مُتَذَكِّرٍ لِمَا قَدْ فَعَلَ بِتِلْكَ
الْأُمَّةِ الَّتِي كَفَرَتْ بِرَبِّهَا، وَعَصَتْ رِسُولَهُ نُوحًا؛ فَيَنْتَعِظُ بِذَلِكَ
وَيَعْتَبِرُ؟

فكيف كان عذابي لأولئك الكُفَّارِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ؟ وكيف كان إنذاري؟

ولقد سَهَّلْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ به، وَحُصُولِ الْفَهْمِ وَالِاتِّعَاطِ به،
فهل مِنْ مُتَذَكِّرٍ؛ فَيَتَّعِظُ وَيَعْتَبِرَ بما في الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؟
كَذَّبَتْ قَبِيلُهُ عَادٍ رَسُولَهُمْ هُودًا، فكيف كان عذابي لهم جزاء
تكذيبهم؟ وكيف كان إنذاري؟

إِنَّا بَعَثْنَا عَلَيْهِمْ حِينَ أَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ رِيحًا بَارِدَةً شَدِيدَةً
الْهُبُوبِ، لِمَصَوْتِهَا صَرِيرٌ، فِي يَوْمٍ شَوْمٍ وَشَرٍّ دَائِمٍ عَلَى عَادٍ،
استمرَّ عَلَيْهِمْ بِحُوسِهِ

تَقْتَلِعُ الرِّيحُ كُفَّارَ عَادٍ بِعُنفٍ وَشِدَّةٍ، فَتَرْفَعُهُمْ ثُمَّ تَرْمِي بِهِمْ
وَتَطْرَحُهُمْ إِلَى الْأَرْضِ فَتَصِرَ عَنْهُمْ، وَتَكُونُ جُبُثُهُمْ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ
مِثْلَ أَصُولٍ نَخْلٍ مُنْقَلَعٍ مِنْ مَنَبِتِهِ!

فكيف كان عذابي لَعَادٍ عَلَى كُفْرِهِمْ؟ وكيف كان إنذاري؟!
ولقد سَهَّلْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ به، وَحُصُولِ الْفَهْمِ وَالِاتِّعَاطِ به،
فهل مِنْ مُتَذَكِّرٍ؛ فَيَتَّعِظُ وَيَعْتَبِرَ بما في الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؟
كَذَّبَتْ قَبِيلُهُ ثَمُودَ -قَوْمِ صَالِحٍ- بما جَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَ النَّذْرِ
الَّتِي تُنذِرُهُمْ عَذَابَهُ!

فَقَالَ كُفَّارُ ثَمُودَ تَكْذِيبًا مِنْهُمْ لِنَبِيِّ اللَّهِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ
أَدْمِي مِثْلَنَا، وَرَجُلٌ وَاحِدٌ فَحَسَبُ، فكيف نَنْبِئُهُ؟ إِنَّا إِنْ اتَّبَعْنَاهُ
لَفِي ذَهَابٍ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَفِي شَقَاءٍ وَعَذَابٍ!
وَقَالُوا: أُنْزِلَ الْوَحْيُ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ فَاخْتَصَّ بِالنُّبُوَّةِ مِنْ
بَيْنِنَا؟! كيف يَكُونُ ذَلِكَ؟ وَأَيُّ مَزِيَّةٍ لَهُ عَلَيْنَا حَتَّى يَسْتَحِقَّ ذَلِكَ؟!
إِنَّمَا هُوَ امْرُؤٌ كَذَّابٌ، كَثِيرُ الْمَرَحِ وَالتَّجَبُّرِ وَالتَّكْبَرِ، فَهُوَ مُعْجَبٌ
بِنَفْسِهِ، مُدَّعٍ مَا لَيْسَ لَهُ!

قال الله تعالى: سَيَعْلَمُونَ قَرِيبًا حِينَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ: مِنَ
الْكَذَّابِ، الْكَثِيرِ الْمَرَحِ وَالتَّجْبُرِ وَالتَّكْبُرِ: أَصَالِحُ أَمْ قَوْمُهُ؟
إِنَّا بَاعِثُوا النَّاقَةَ؛ اخْتِبَارًا وَامْتِحَانًا لِنُمُودَ؛ فَإِنَّمَا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَيَتَّبِعُوا نَبِيَّهَ صَالِحًا، أَوْ يُكَذِّبُوهُ وَيَكْفُرُوا بِاللَّهِ تَعَالَى، فَتَرْقُبَ -يا
صَالِحُ- وَانْظُرْ مَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الْفِتْنَةِ عِنْدَ ظُهُورِ النَّاقَةِ، وَمَا
هُمْ صَانِعُوهُ فِيهَا، وَاصْبِرْ عَلَيْهِمْ صَبْرًا قَوِيًّا بِالْعَا
وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ مَاءَ الْقَرْيَةِ مَقْسُومٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاقَةِ؛ فَلَهَا يَوْمٌ
تَشْرَبُ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، وَلَهُمْ يَوْمٌ يَشْرَبُونَ فِيهِ مِنْهُ، فَإِذَا كَانَ
يَوْمُ النَّاقَةِ حَضَرَتْ نَصِيبَهَا مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ نُمُودَ
حَضَرُوا نَصِيبَهُمِ مِنَ الْمَاءِ
فَنَادَى كُفَّارُ نُمُودَ صَاحِبَهُمْ وَأَشْقَاهُمْ لِعَقْرِ النَّاقَةِ، فَبَاشَرَ قَتْلَهَا
بِنَفْسِهِ

فكيف كان عَذَابِي لِنُمُودَ عَلَى كُفْرِهِمْ؟ وكيف كان إنذاري
الذي لَا يُبْقِي لِأَحَدٍ حِجَةً؟
إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَى نُمُودَ صِيحَةً وَاجِدَةً عَظِيمَةً، فَأَهْلَكْتَهُمْ!
فَصَارُوا كَخُطَامِ النَّبَاتِ وَمَا تَكَسَّرَ مِنَ الشَّجَرِ الْيَابِسِ الَّذِي
يَجْمَعُهُ مَنْ يَصْنَعُ الْحَظِيرَةَ
وَلَقَدْ سَهَّلْنَا الْقُرْآنَ لِلتَّذَكُّرِ بِهِ، وَحُصُولِ الْفَهْمِ وَالِاتِّعَاضِ بِهِ،
فَهَلْ مِنْ مُتَذَكِّرٍ؛ فَيَتَّعِظُ وَيَعْتَبِرَ بِمَا فِي الْقُرْآنِ؟
كَذَّبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِمَا جَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَ النَّذْرِ الَّتِي تُنذِرُهُمْ
عَذَابَهُ

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَى قَوْمِ لُوطٍ حِجَارَةً أُمْطِرَتْ عَلَيْهِمْ؛ لِأَهْلَاكِهِمْ،
إِلَّا لُوطًا وَمَنْ تَبِعَهُ عَلَى دِينِهِ وَأَمَّنَ بِهِ؛ فَإِنَّا نَجِّنَاهُمْ مِنَ الْعَذَابِ
وَقَتَّ السَّحَرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ

إِنْعَامًا مِنَّا عَلَيْهِمْ، وَكَرَامَةً لَهُمْ مِنْ عِنْدِنَا! كَمَا أَنْجَيْنَا لُوطًا
وَأَلَّهُ مِنَ الْعَذَابِ؛ بِسَبَبِ طَاعَتِهِمْ لِلَّهِ تَعَالَى- نُنْجِي أَيْضًا كُلَّ مَنْ
شَكَرَنَا عَلَى مَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَأَطَاعَهُ
وَلَقَدْ خَوَّفَ لُوطٌ قَوْمَهُ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ أَخَذَتِنَا الشَّدِيدَةِ قَبْلَ
حُصُولِهَا، فَشَكُّوا فِي إِذَارَاتِهِ، وَكَذَّبُوا بِهَا

وَلَقَدْ طَلَبَ قَوْمُ لُوطٍ مِنْهُ تَمْكِينَهُمْ مِنْ فِعْلِ الْفَاحِشَةِ بَضِيؤِوه،
وَالْحُوءِ فِي طَلِبِهِمْ مِرَارًا، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ، فَصَارَتْ كَسَائِرِ
الْوَجْهِ بِلَا شَقِيٍّ، فَلَمْ يُبْصِرُوا! فَذُوقُوا -يَا مَعْشَرَ قَوْمِ لُوطٍ- عَذَابِي
الَّذِي حَلَّ بِكُمْ، وَعَاقِبَةُ إِذَارَاتِي الَّتِي أَنْذَرْتُكُمْ بِهَا!

وَلَقَدْ صَبَحَ قَوْمُ لُوطٍ أَوَّلَ النَّهَارِ عَذَابٌ ثَابِتٌ لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُمْ
فَذُوقُوا -يَا مَعْشَرَ قَوْمِ لُوطٍ- عَذَابِي الَّذِي حَلَّ بِكُمْ، وَعَاقِبَةُ
إِذَارَاتِي الَّتِي أَنْذَرْتُكُمْ بِهَا

وَلَقَدْ سَهَّلْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ بِهِ، وَحُصُولِ الْفَهْمِ وَالِاتِّعَاضِ بِهِ،
فَهَلْ مِنْ مُتَذَكِّرٍ؛ فَيَتَّعِظُ وَيَعْتَبِرَ بِمَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؟
وَلَقَدْ جَاءَ فِرْعَوْنَ وَأَلَّهُ النَّذْرُ الَّتِي تُنذِرُهُمْ عَذَابُ اللَّهِ تَعَالَى
كَذَّبَ فِرْعَوْنُ وَأَلَّهُ بِجَمِيعِ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، الدَّالَّةِ عَلَى الْحَقِّ،
فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ مَنْ هُوَ شَدِيدٌ قَوِيٌّ؛ فَلَا يُغْلَبُ، بِالْإِغْثَةِ؛ فَلَا
يَعِجْزُ عَمَّا يُرِيدُ!

أَكْفَارُكُمْ -يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ- خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ أَهْلَكْتُمْ
لِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، مِثْلُ: قَوْمِ نُوحٍ، وَعَادٍ، وَثَمُودَ، وَقَوْمِ لُوطٍ،
وَأَلِ فِرْعَوْنَ؟ كَلَّا! لَيْسُوا خَيْرًا مِنْهُمْ؛ فَلْتَحَذَرُوا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ إِنْ
أَصْرَرْتُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ، أَمْ لَكُمْ -يَا كُفَّارَ قُرَيْشٍ- بَرَاءَةٌ
مَكْتُوبَةٌ فِي صَحَائِفِ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ السَّابِقَةِ؛ فَانْتُمْ بَرِيئُونَ مِنْ
عَاقِبَةِ كُفْرِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ، وَأَمِنُونَ مِنْ عَذَابِ رَبِّكُمْ؟!

أَمْ يَقُولُ كُفَّارُ فُرَيْشٍ: نَحْنُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مُنْتَصِرُونَ،
فَسَنَغْلِبُ مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ!؟

سُيْهَرُمُ جَمْعُ كُفَّارٍ فُرَيْشٍ، وَيَتَفَرَّقُونَ، وَيَفِرُّونَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ
مُدِيرِينَ!

ليس الأمرُ كما يَزْعُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَهَمُ حَتَمًا سَيُبْعَثُونَ بَعْدَ
مَوْتِهِمْ، وَيُجَازَوْنَ بِعُقُوبَةٍ تَامَّةٍ عَلَى كُفْرِهِمْ؛ فَالسَّاعَةُ مَوْعِدُ
عَذَابِهِمُ الْأَصْلِيِّ، وَمَا يَحْقِيقُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا فَمِنْ طَلَائِعِهِ، وَالسَّاعَةُ
أَشَدُّ قُضَاعَةً وَفَتْكًا، وَأَكْثَرُ أَلَمًا وَمَرَارَةً مِنَ الْقَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ مِمَّا
يُصِيبُهُمْ مِنَ عَذَابِ الدُّنْيَا!

إِنَّ الْمُشْرِكِينَ فِي ضَلَالٍ، وَفِي عَنَاءٍ وَشَقَاءٍ وَعَذَابٍ
يَوْمَ يُجَزَّرُ أَوْلَئِكَ الْمُجْرِمُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمُ الَّتِي هِيَ
أَشْرَفُ أَعْضَائِهِمُ الظَّاهِرَةِ، فَيُهَانُونَ بِذَلِكَ وَيُخْزَوْنَ! وَيُقَالُ لَهُمْ:
ذُوقُوا أَلَمَ النَّارِ وَعَذَابِهَا

إِنَّا خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ سَابِقٍ مَضْبُوطٍ مُحْكَمٍ
وَمَا أَمْرُنَا إِذَا أَرَدْنَا شَيْئًا إِلَّا أَنْ نَقُولَ لَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً: كُنْ،
فَيُوجَدُ مَا أَرَدْنَاهُ كَسُرْعَةِ اللَّمْحِ بِالْبَصَرِ بِلَا تَأْخِيرٍ!

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْبَاهَكُمْ وَأَمْثَالَكُمْ فِي الْكُفْرِ -يَا مَعْشَرَ فُرَيْشٍ- مِنْ
الْأَمَمِ الْمَاضِيَةِ الَّتِي كَفَرَتْ بِاللَّهِ، وَكَذَّبَتْ رُسُلَهَا فَهَلْ مِنْ مُنْذَكِرٍ
يَعْلَمُ أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَاحِدَةٌ، وَيَتَعِظُ وَيَعْتَبِرُ
بِأَهْلَاكِ اللَّهِ لِلْكَفَّارِ السَّابِقِينَ، فَيَحْذَرُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُمْ!؟

وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ مَوْجُودٌ فِي الصَّحَائِفِ وَالذِّوَابِينِ الَّتِي
نُحْصِي الْحَفْظَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا
وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَكْتُوبٌ مَسْطُورٌ

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا سَخَطَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ بَامْتَثَالٍ أَوْامِرِهِ، واجْتَنَابِ
نَوَاهِيهِ- فِي جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ جَارِيَةٍ فِيهَا
فِي مَجْلِسٍ حَقٍّ، ثَابِتٍ لَا يَزُولُ، كَامِلٍ فِي نَعِيمِهِ، لَا بَاطِلَ فِيهِ
وَلَا لَغْوٌ وَلَا آثَامٌ عِنْدَ مَلِكٍ عَظِيمٍ تَامَ الْمُلْكُ، بِالْغِ الْفُدْرَةِ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!
اللَّهُ: الْوَاسِعُ الرَّحْمَةُ، الْمُنْعِمُ عَلَى عِبَادِهِ بِالنِّعَمِ الْكَثِيرَةِ فِي
دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ
عَلَّمَ الرَّحْمَنُ -سُبْحَانَهُ- عِبَادَهُ أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ وَمَعَانِيَهُ، وَيَسَّرَهَا
لَهُمْ

خَلَقَ الرَّحْمَنُ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ
عَلَّمَ الرَّحْمَنُ الْإِنْسَانَ النُّطْقَ وَالْفَهْمَ، وَالْإِبَانَةَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ
بِالْكَلَامِ
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ دَقِيقٍ مُتَقَنٍ لَا يَخْتَلِفُ وَلَا
يَضْطَرُّ، وَلَا يُجَاوِزَانِ مَنَازِلَهُمَا، وَلَا يَتَأَخَّرَانِ فِي جَرَيَانِهِمَا،
فِيحَسِبُ النَّاسُ بِهِمَا السِّنِينَ وَالشُّهُورَ وَالْأَيَّامَ وَالْأَوْقَاتَ
وَجَمِيعَ النُّجُومِ وَالْأَشْجَارِ تَسْجُدُ لِلرَّحْمَنِ
وَرَفَعَ الرَّحْمَنُ السَّمَاءَ فَوْقَ الْأَرْضِ، وَوَضَعَ الْعَدْلَ بَيْنَ خَلْقِهِ
فِي الْأَرْضِ، وَالْأَلَةَ الَّتِي يُعْرِفُ بِهَا الْعَدْلُ
لِيَلَّا تَتَجَاوَزُوا الْحَدَّ فَتَجُورُوا
وَأَقِيمُوا وَزْنَ الْأَشْيَاءِ بِالْعَدْلِ التَّامِّ، وَلَا تَنْفُسُوا الْوِزْنَ، بَلْ
أَعْطُوا الْحَقَّوَقَ كَامِلَةً وَافِيَةً
وَالْأَرْضَ خَفَضَهَا الرَّحْمَنُ، وَوَطَّأَهَا لِخَلْقِهِ

في الأرض أنواع الفواكه المختلفة الألوان والطُعم
 والروائح، وفي الأرض شجر النخل المغطى ثمرة بالأوعية
 التي تنشق، فتخرج منها عذوق الثمر
 وفي الأرض الحبوب المأكولة -كالبرّ والشعير ونحوهما-
 ذوات الورق اليابس، والتبن، وفي الأرض الرّيحان، وهو
 النبت ذو الرائحة الجميلة، الذي يشتم لطيب رائحته
 فبأيّ نعم ربكما تكذّبان، يا معشر الإنس والجنّ؟!
 خلق الله آدم أبا البشر من طين يابس في غاية الصلابة، له
 صوت وصلصلة إذا نُقر، كالخرف، وهو الطين المطبوخ بالنار
 وخلق الله الجانّ من لهب النار الذي لا دخان له
 فبأيّ نعم ربكما تكذّبان، يا معشر الإنس والجنّ؟!
 الله خالق ومالك ومُدبّر مشرق الشمس في الشتاء والصيف،
 ومغرب الشمس في الشتاء والصيف
 فبأيّ نعم ربكما تكذّبان، يا معشر الإنس والجنّ؟!
 أرسل الله البحر الملح والبحر العذب وتركهما يتصلاّ من
 غير أن يختلطا
 بين البحر الملح والبحر العذب حاجز يمنع اختلاط أحدهما
 بالآخر، وتغيير طعمه وصفاته
 فبأيّ نعم ربكما تكذّبان، يا معشر الإنس والجنّ؟!
 يخرج من البحرين -الملح والعذب- اللؤلؤ والمرجان اللذان
 يتخذهما الناس حليّة وزينة
 فبأيّ نعم ربكما تكذّبان، يا معشر الإنس والجنّ؟!
 والله -ملكًا وتدبيرًا وتسخيرًا- السفن الجارية، التي أنشأها
 الناس، فتبّدو في البحار كالجبال

فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ؟!
كُلُّ مَنْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ إِنْسٍ أَوْ جِنٍّ أَوْ غَيْرِهِمَا: هَالِكٌ لَا
يَبْقَى

وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ -يَا مُحَمَّدُ- الْمَوْصُوفُ وَجْهَهُ بِالْعَظَمَةِ
وَالْإِكْرَامِ، وَاسْتِحْقَاقِ التَّعْظِيمِ وَالْمَحَبَّةِ، وَإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ
وَالْجَمَالِ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا
فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!

إِلَى اللَّهِ يَفْرُغُ جَمِيعُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ بِسُؤَالِ
حَاجَاتِهِمْ، كُلُّ يَوْمٍ يُحْدِثُ اللَّهُ تَعَالَى شَأْنًا عَظِيمًا؛ كَأَنْ يُحْيِيَ خَلْقًا
وَيُمِيتَ آخَرِينَ، أَوْ يُفَرِّجَ كَرْبًا، أَوْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، أَوْ يُجِيبَ دُعَاءً، أَوْ
يُشْفِيَ مَرِيضًا، أَوْ يُغْنِيَ فَقِيرًا، أَوْ يُعَلِّمَ جَاهِلًا، أَوْ يَهْدِيَ ضَالًّا،
أَوْ يُعِزَّ قَوْمًا، وَيُذِلَّ آخَرِينَ!

فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
سَنَقْصِدُ لِمَحَاسِنِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ-
وَنُجَازِيَكُمْ ثَوَابًا أَوْ عِقَابًا بِحَسَبِ أَعْمَالِكُمْ

فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ جَوَانِبِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَنَوَاحِيهَا الْوَاسِعَةِ، فَتَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَارًا مِنْ
رَبِّكُمْ حَتَّى لَا يَقْدِرَ عَلَيْكُمْ- فافْعَلُوا! لَيْسَتْ لَكُمْ -يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ- اسْتَطَاعَةٌ عَلَى التَّفْوِذِ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا
بِقُوَّةٍ وَقَهْرٍ وَغَلْبَةٍ، وَلَيْسَ لَكُمْ ذَلِكَ!

فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا -يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ- لَهَبٌ عَظِيمٌ مُنْتَشِرٌ
مِنْ نَارٍ لَا دُخَانَ مَعَهَا، وَيُرْسَلُ عَلَيْكُمَا دُخَانٌ فِيهِ شَرٌّ مُتَطَايِرٌ،

ونحاسٌ مُذابٌ فلا يُمكنُكما الانتِصارُ -يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ-،
فلا تَمْتَنِعانِ مِنْ عَذَابِهِ بِأَنْفُسِكُمْ، ولا بِناصِرٍ مِنْ غَيْرِكُمْ!
فَبأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ، يا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
فإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَصَارَتْ مِثْلَ الْوَرْدَةِ حَمراءَ
كَالدَّهْنِ

فَبأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ، يا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
ففي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا يُسْأَلُ إِنْسِيٌّ وَلَا جِنِّيٌّ عَمَّا اقْتَرَفَ مِنْ ذَنْبٍ!
فَبأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ، يا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْلَامَاتٍ تُمَيِّزُهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ،
فَيُؤْخَذُ بِمُقَدِّمِ رُؤُوسِ الْمُجْرِمِينَ وَبِأَقْدَامِهِمْ، وَيُلْقَوْنَ فِي جَهَنَّمَ
فَبأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ، يا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
يُقَالُ لَهُمْ: هَذِهِ هِيَ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكْذِبُ بِوُجُودِهَا الْمُجْرِمُونَ فِي
الدُّنْيَا، هَاهِي حَاضِرَةٌ يُشَاهِدُونَهَا فِي الْآخِرَةِ عَيْنًا!
يَتَرَدَّدُ الْمُجْرِمُونَ بَيْنَ نَارِ جَهَنَّمَ وَبَيْنَ الْحَمِيمِ الَّذِي قَدْ بَلَغَ مَاؤُهُ
الْغَايَةَ فِي حَرِّهِ!

فَبأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ، يا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
وَلَكِّلْ مَنْ خَافَ -مَنْ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ- مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ
لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاتَّقَاهُ فِي الدُّنْيَا بِامْتِنَالٍ أَوْامِرِهِ، وَاجْتَنَابِ
نَوَاهِيهِ: جَنَّتَانِ فِي الْآخِرَةِ

فَبأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ، يا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
وَهَاتَانِ الْجَنَّتَانِ صَاحِبَتَا أَغْصَانٍ كَثِيرَةٍ
فَبأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ، يا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ
فَبأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ، يا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!

في الْجَنَّتَيْنِ مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الْفَاكِهَةِ صِنْفَانِ مُخْتَلِفَانِ
فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
مُتَنَعِّمِينَ بِالْإِتْكَاءِ عَلَى فُرُشٍ بَطَانُهَا الَّتِي تَلِي جِهَةَ الْأَرْضِ:
مِنَ الْحَرِيرِ الْغَلِيظِ اللَّامِعِ، فَكَيْفَ بظواهرها الَّتِي تَلِي
بَشَرَتَهُمْ؟! وَثَمَرُ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ قَرِيبٌ مِنْ أَهْلِهِمَا، فَيَتَنَاوَلُونَهُ
بَيْسَرٍ وَسُهولةٍ

فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
فِيهِنَّ نِسَاءٌ قَدْ قَصَّرْنَ نَظْرَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَلَا يُبْصِرْنَ
سِوَاهُمْ، وَلَا يَرِغْبَنَ فِي غَيْرِهِمْ، لَمْ يُجَامِعْهُنَّ فَيَفْتَضَّ بَكَارَتَهُنَّ
قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ أَحَدٌ مِنَ الْإِنْسِ أَوْ الْجِنِّ

فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
أُولَئِكَ الْحُورُ الْعِينُ مِثْلُ الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ صَفَاءً وَلَوْنًا
فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
مَا جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا أَنْ يُحْسِنَ اللَّهُ إِلَيْهِ
بِالتَّنْعِيمِ فِي الْآخِرَةِ؟!

فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
وَمِنْ دُونِ الْجَنَّتَيْنِ -الَّتَيْنِ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا- جَنَّتَانِ أَقْلُ مِنْهُمَا
رُتْبَةً وَفَضْلًا

فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
هَاتَانِ الْجَنَّتَانِ مُسَوَّدَتَانِ؛ مِنْ شِدَّةِ خُضْرَتِهِمَا
فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ عَيْنَانِ فَوَّارَتَانِ بِالْمَاءِ بَقُوءٍ
فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؟!
فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ فَوَاكِهُ وَنَخِيلٌ وَرُمَّانٌ

فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ؟!
فِيهِنَّ خَيْرَاتُ الصِّفَاتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالشَّيَمِ، وَحِسَانُ الْوُجُوهِ
وَالْأَبْدَانِ؛ فَهِنَّ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ خُلُقًا وَخُلُقًا!

فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ؟!
مِنْ وَصِفِهِنَّ أَنَّهُنَّ بَيَاضٌ شَدِيدٌ سَوَادُ أَعْيُنِهِنَّ وَبَيَاضُهَا،
مَحْجُوبَاتٌ وَمَحْبُوسَاتٌ فِي بُيُوتِ اللَّوْلُو الْمُجَوَّفِ
فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ؟!
لَمْ يُجَامِعْهُنَّ فَيَقْتَضِ بَكَارَتَهُنَّ قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ أَحَدٌ مِنَ الْإِنسِ
أَوْ الْجِنِّ

فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ؟!
يَتَنَعَّمُونَ بِالْإِتْكَاءِ عَلَى ثِيَابِ خَضِرَاءَ فَاجِرَةٍ رَقِيقَةٍ مُتَدَلِّيَةٍ مِنْ
فُرْشِهِمْ، وَمُتَكَيِّئِينَ عَلَى بُسْطٍ فَائِقَةِ الْجَمَالِ، بِدِيعَةِ الصَّنْعِ، حَسَنَةِ
الْمَنْظَرِ!

فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ؟!
تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ -يَا مُحَمَّدُ- فَالْبَرَكَهَ كُلُّهَا مِنْهُ، فَكُلُّ مَا ذُكِرَ
عَلَيْهِ بُورُكٌ فِيهِ، صَاحِبِ الْعِظَمَةِ الْبَاهِرَةِ، الْمُسْتَحَقُّ لِعَظَمِيهِ
وَعِبَادَتِهِ، وَالْمُكْرَمِ عِبَادَهُ بِنِعَمِهِ، الْمُسْتَحَقُّ لِلْإِكْرَامِ وَالْحُبِّ مِنْ
جَمِيعِ خَلْقِهِ

إِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ، وَتَحَقَّقَ وَقُوعُهَا
لَيْسَ وَقُوعُهَا بِكَذِبٍ؛ فَهُوَ أَمْرٌ حَقٌّ وَاقِعٌ يَقِينًا لَا مَحَالَةَ!
تَخْفِضُ أَقْوَامًا إِلَى النَّارِ فَيَدْخُلُونَ الْجَحِيمَ، وَإِنْ كَانُوا فِي
الدُّنْيَا أَعْرَاءَ، وَتَرْفَعُ أَقْوَامًا إِلَى الْجَنَّةِ فَيَنَالُونَ النِّعَمَ، وَإِنْ كَانُوا
فِي الدُّنْيَا أَذِلَّةً!

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ عَلَى سَعَتِهَا وَثِقَلَهَا، فَخَرَّكَتْ تَحْرِيكًا شَدِيدًا، فَاهْتَزَّتْ وَاضْطَرَبَتْ!

وَفُتِّتَ الْجِبَالُ عَلَى عَظَمَتِهَا وَصَلَابَتِهَا تَفْتِيًا!
فَصَارَتِ الْجِبَالُ دَرَاتٍ غُبَارٍ صَغِيرَةٍ مُتَطَايِرَةٍ مُتَفَرِّقَةٍ، كَأَلَّتِي تُرَى لَدَى انْعِكَاسِ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ فِي مَوْضِعٍ مُظْلِمٍ!
وَصِرْتُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَصْنَافًا ثَلَاثَةً بِحَسَبِ أَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا
فَالصِّنْفُ الْأَوَّلُ: أَصْحَابُ الْيَمِينِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَمَا أَعْظَمَ شَأْنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ!

وَالصِّنْفُ الثَّانِي: أَصْحَابُ الشِّمَالِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ، وَمَا أَظْغَعَ شَأْنَ أَصْحَابِ الشِّمَالِ!

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ الصِّنْفَ الثَّلَاثَ فَقَالَ: وَالَّذِينَ يَسْبِقُونَ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، وَيُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ هُمُ السَّابِقُونَ إِلَى دُخُولِ الْجَنَّةِ وَنِيلِ الْكَرَامَاتِ.

أُولَئِكَ الَّذِينَ يُقَرِّبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ
فِي جَنَاتٍ يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا نَعِيمًا دَائِمًا لَا يَنْقُطِعُ أَبَدًا، نَعِيمًا بَدَنِيًّا وَقَلْبِيًّا

هُمُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ
وَعَدَدٌ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ
مَجَالِسُهُمْ عَلَى سُرُرٍ مَنسُوجَةٍ بِالذَّهَبِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَاللَّالِي!

مُتَكَبِّينَ عَلَى تِلْكَ السُّرُرِ مُتَقَابِلِينَ بَوُجُوهِهِمْ، لَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى قَفَا بَعْضٍ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَرَاءَ أَحَدٍ!
يَدُورُ عَلَيْهِمْ لَخْدِمَتِهِمْ وَلِدَانُ صِغَارٍ، لَا يَهْرَمُونَ وَلَا يَمُوتُونَ!

يَطُوفُ الْوُلْدَانُ عَلَيْهِمْ بِأَكْوَابٍ مُسْتَدِيرَةٍ لَا خَرَاطِيمَ لَهَا وَلَا آذَانَ، وَأَبَارِيقَ يَبْرِقُ لَوْنُهَا مِنْ صَفَائِهَا، لَهَا خَرَاطِيمٌ وَآذَانٌ، وَيَطُوفُ الْوُلْدَانُ عَلَيْهِمْ بِكُؤُوسٍ مِنْ خَمْرِ ظَاهِرَةٍ جَارِيَةٍ تَنْبُعُ كَمَا يَنْبُعُ الْمَاءُ، بَلَا انْقِطَاعٍ!

لَا يَنْشَأُ عَنْ شُرْبِهِمْ مِنْ تِلْكَ الْخَمْرِ صُدَاعٌ فِي رُؤُوسِهِمْ، وَلَا يَسْكُرُ بِهَا شَارِبُوهَا، فَتَزُولَ عُقُولُهُمْ، وَلَا يَنْفَدُ شَرَابُهُمْ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْوُلْدَانُ بِفَاكِهَةٍ مِمَّا يَخْتَارُونَهُ مِنْ أَصْنَافِ الْفَوَاكِهِ الْكَثِيرَةِ فِي الْجَنَّةِ

وَيَطُوفُ الْوُلْدَانُ عَلَيْهِمْ بِلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا تَرَعَبَ أَنْفُسُهُمْ فِي أَكْلِهِ وَلَهُمْ نِسَاءٌ بَيَاضٌ، شَدِيدٌ سَوَادُ أَعْيُنِهِنَّ وَبَيَاضُهَا، وَاسِعَاتُ الْأَعْيُنِ مَعَ حُسْنِهَا

وَهُنَّ فِي بَيَاضِهِنَّ وَجَمَالِهِنَّ وَصَفَائِهِنَّ يُشَبِّهَنَّ الدَّرَّ الْأَبْيَضَ الصَّافِيَ الْمُتَالِيَّ الْمَسْتَوْرَ عَنْ لَمَسِ الْأَيْدِي، وَإِصَابَةِ الْعُبَارِ وَالشَّمْسِ وَالرِّيَّاحِ!

إِنَّمَا كَانَتْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ثَوَابًا لِأَوْلَئِكَ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ؛ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا لَا يَسْمَعُونَ فِي تِلْكَ الْجَنَّاتِ كَلَامًا بَاطِلًا لَا يَنْفَعُهُمْ، وَلَا يَسْمَعُونَ فِيهَا كَلَامًا يَجْلِبُ عَلَيْهِمُ الْإِثْمَ، فَيَضُرُّهُمْ إِنَّمَا يَسْمَعُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا التَّسْلِيمَ، وَالْقَوْلَ السَّالِمَ مِنَ اللَّغْوِ وَالنَّائِمِ

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَعْظَمَ شَأْنُهُمْ! وَمَا أَحْسَنَ حَالَهُمْ! هُمْ فِي شَجَرٍ نَبَقٍ لَا شَوْكَ فِيهِ، مُثْقَلَةٌ أَغْصَانُهُ بِالثَّمَرِ الْكَثِيرِ وَفِي شَجَرٍ طَلَحَ بَلَا شَوْكٍ، ذِي ثَمَرٍ مَنظُومٍ مُتَرَائِمٍ وَمُتَرَائِصٍ بَعْضُهُ مَعَ بَعْضٍ، عَلَى تَرْتِيبٍ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ

وَهُمْ فِي ظِلٍّ دَائِمٍ بَاقٍ لَا يَتَقَلَّصُ أَوْ يَزُولُ
وَفِي مَاءٍ مَصْبُوبٍ جَارٍ مِنْ غَيْرِ أَحْدُوْدٍ، لَا يَنْقَطِعُ
وَفِي فَوَاحٍ كَثِيرَةٍ مُتَتَوِّعَةٍ
لَا تَنْقَطِعُ عَنْهُمْ تِلْكَ الْفَوَاحِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَلَا يَمْنَعُهُمْ
مِنْ تَنَاوُلِهَا مَانِعٌ أَبَدًا

وَهُمْ فِي فُرُشٍ عَالِيَةٍ مُرْتَفِعَةٍ
إِنَّا خَلَقْنَا نِسَاءَ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَلْقًا فَاوْجَدْنَاهُنَّ
فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عَذَارَى
جَعَلْنَاهُنَّ مَظْهَرَاتٍ شَدِيدَةِ مَحَبَّةٍ لَأَزْوَاجِهِنَّ، وَجَعَلْنَاهُنَّ عَلَى
سِنٍّ وَاحِدَةٍ فِي غَايَةِ الشَّبَابِ

أَنْشَأْنَا تِلْكَ النِّسَوَةَ عَلَى تِلْكَ الصِّفَاتِ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ
وَأَصْحَابِ الْيَمِينِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ
وَجَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ
وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَفْطَعَ شَأْنُهُمْ! وَمَا أَسْوَأَ حَالَهُمْ!
هُمْ فِي رِيحٍ شَدِيدَةٍ الْحَرَارَةِ، وَشَرَابٍ بَالِغِ الْغَايَةِ فِي الْحَرَارَةِ!
وَفِي ظِلٍّ مِنْ دُخَانٍ شَدِيدِ السَّوَادِ!
وَهُوَ ظِلٌّ غَيْرُ بَارِدٍ، وَلَيْسَ بِحَسَنِ الْمَنْظَرِ!

إِنَّ أَصْحَابَ الشِّمَالِ كَانُوا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَهُمْ هَذَا
الْعَذَابُ فِي تَنْعُمٍ وَإِسْرَافٍ وَإِقْبَالٍ عَلَى الشَّهَوَاتِ؛ فَاسْتَحَقُّوا تِلْكَ
الْعُقُوبَاتِ

وَكَانُوا فِي الدُّنْيَا مُسْتَمَرِّينَ عَلَى الْإِقَامَةِ عَلَى الذَّنْبِ الْعَظِيمِ،
وَهُوَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ تَعَالَى

وَكَانُوا يَقُولُونَ إِنْكَارًا لِلْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَا مِثْنَا وَصِرْنَا فِي
قُبُورِنَا ثُرَابًا وَعِظَامًا أَنِنَا لَمَبْعُوثُونَ أَحْيَاءٌ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ؟!

وَهَلْ يُبْعَثُ أَيْضًا آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ؟!
 قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِأَوْلَئِكَ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ: إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ
 مِنْكُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِكُمْ
 لَمَجْمُوعُونَ بِالْبَعْثِ وَالْحَشْرِ إِلَى وَقْتٍ مُّحَدَّدٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى،
 وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ
 ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ بَعْثِكُمْ أَئِهَا الضَّالُّونَ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى، الْمَكْذِبُونَ
 بِالْحَقِّ

لَاكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرِ وَالطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ!
 فَمَالِلَئُونَ مِنْ شَجَرِ الزَّقُّومِ بُطُونَكُمْ؛ لَشِدَّةِ جُوعِكُمْ،
 وَاضْطِرَارِكُمْ لِلْأَكْلِ
 فَسَارِبُونَ عَلَى هَذَا الزَّقُّومِ الَّذِي مَلَأْتُمْ بِهِ بُطُونَكُمْ شَرَابًا مُغْلَى
 قَدْ بَلَغَ النَّهَايَةَ فِي الْحَرَارَةِ!
 فَسَارِبُونَ مِنْ هَذَا الْحَمِيمِ شَرِبَ الْإِبِلُ الْعِطَاشِ الَّتِي أَصَابَهَا
 مَرَضٌ لَا تَرَوَى مَعَهُ مِنَ الْمَاءِ!
 هَذَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ مِنَ الزَّقُّومِ وَالْحَمِيمِ هُوَ ضِيافَةٌ أَوْلَئِكَ
 الضَّالِّينَ الْمُكْذِبِينَ، الْمُعَدَّةُ لَهُمْ عِنْدَ مَقْدَمِهِمْ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ
 الَّذِي يُحَاسِبُ اللَّهُ فِيهِ عِبَادَهُ، وَيُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ
 نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ -أَيُّهَا الْكَافِرَةُ الْمَكْذِبُونَ بِالْبَعْثِ- أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنْ
 الْعَدَمِ، فَهَلَّا تُصَدِّقُونَ خَالِقَكُمْ فِي إِخْبَارِهِ بِبَعْثِكُمْ أَحْيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 بَعْدَ مَوْتِكُمْ؟! فَالَّذِي قَدَّرَ عَلَى ابْتِدَاءِ خَلْقِكُمْ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِكُمْ
 بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَقْذِفُونَ مِنَ الْمَنِيِّ فِي أَرْحَامِ نِسَائِكُمْ؟
 أَنْتُمْ تَخْلُقُونَ ذَلِكَ الْمَنِيَّ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ لَهُ؟

نحن قَضَيْنَا بَيْنَكُمْ الموتَ، فما مِنْ إنسانٍ يُفْلِتُ مِنَ الموتِ في الوقتِ الَّذي قَدَّرَهُ اللهُ تعالى لذلكَ وما نحن بمَغْلُوبِينَ ولا عاجِزِينَ وما نحن بمَغْلُوبِينَ ولا عاجِزِينَ على تَبْدِيلِ صُورِكُمْ وأشْخاصِكُمْ، وأنْ نُنْشِئَكُمْ نَشْأَةً أُخْرَى في خِلْقَةٍ لا تَعْلَمُونَهَا مِنَ الصُّورِ وَالْهَيئَاتِ، والأحوالِ وَالصِّفَاتِ!

ولقد عَلِمْتُمْ خَلْقَنَا لَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، ولم تكونوا شَيْئًا قَبْلَ ذلكَ! فَهَلَّا تَتَذَكَّرُونَ ذلكَ؛ فَتَعْلَمُوا أَنَّ الَّذي أَنْشَأَكُمْ النِّشْأَةَ الْأَوَّلَى ولم تكونوا شَيْئًا: لا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ إِعَادَتُكُمْ أَحْيَاءً بَعْدَ مَوْتِكُمْ؟! أَفَرَأَيْتُمُ الْبَذَرَ الَّذي تَشْقُونَ لَهُ الْأَرْضَ وَتُثِيرُونَهَا، فَتُلْقُونَهُ فِيهَا لِيَنْبُتَ؟

أَأَنْتُمْ تُصَيِّرُونَ ذلكَ الْبَذَرَ زَرْعًا، أم نحن الَّذِينَ أَنْبَتْنَاهُ بِقُدْرَتِنَا؟

لو نَشَأَ لَصَيَّرْنَا ذلكَ الزَّرْعَ -الَّذي أَنْبَتْنَاهُ- هَشِيمًا يَابِسًا، فلا تَنْتَفِعُونَ بِهِ! فَبِقِيَّتِهِمْ نَادِمِينَ مُتَعَجِّبِينَ مِنْ هَلَاكِ زَرْعِكُمْ، قد زال عَنْكُمْ السُّرُورُ وَالْمَرَحُ! فَتَقُولُونَ: إِنَّا لَمُعَذِّبُونَ!

إِنَّمَا نحنَ مَحْرُومُونَ مِنْ مَنَفْعَةِ زَرْعِنَا، وَحُصُولِ خَيْرِهِ، فلا حَظَّ لَنَا فِيهِ!

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الْعَذْبَ الَّذي تَشْرَبُونَ مِنْهُ؟ أَأَنْتُمْ الَّذِينَ أَنْزَلْتُمْ هَذَا الْمَاءَ مِنَ السَّحَابِ إِلَى الْأَرْضِ، أم نحنَ الْمُنْزِلُونَ لَهُ بِقُدْرَتِنَا؟

لو نَشَأَ جَعَلْنَا ذلكَ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِلْحًا شَدِيدَ الْمَرَارَةِ؛ فلا يُمَكِّنُكُمْ شَرْبُهُ، وَالانْتِفَاعُ بِهِ! فَهَلَّا تَشْكُرُونَ اللهَ الَّذي رَزَقَكُمْ الْمَاءَ الْعَذْبَ الزَّلَالَ!

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُسْتَخْرِجُونَهَا مِنَ الشَّجَرِ بِالْأَقْتِدَاحِ،
وَتُوقِدُونَهَا؟

أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمُ الشَّجَرَةَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهَا النَّارُ، أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ
أَنْشَأْنَاهَا بِقُدْرَتِنَا؟

نَحْنُ جَعَلْنَا تِلْكَ النَّارَ تَذْكِيرًا لِلنَّاسِ بِنَارِ جَهَنَّمَ، فَيَعْتَبِرُونَ
وَيَنْزَجِرُونَ خَوْفًا مِنْهَا، وَجَعَلْنَا نَارَ الدُّنْيَا مَنَفْعَةً لِلْمُسَافِرِينَ؛ فِي
الطَّبْخِ، وَالتَّدْفِئَةِ، وَالِاسْتِزَاءَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ

فَنَزَرَهُ رَبُّكَ الْمُنْتَصِفَ بِكَمَالِ الْعِظَمَةِ - يَا مُحَمَّدُ - عَنْ كُلِّ نَقْصٍ
وَعَيْبٍ، قَائِلًا: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ

أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ

وَإِنَّ هَذَا الْقَسَمَ لَقَسَمٌ عَظِيمٌ، لَوْ تَعْلَمُونَ قَدْرَهُ وَعِظَمَتَهُ!

أَقْسِمُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْمُنَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ: قُرْآنٌ عَظِيمٌ
الْحُسْنِ وَالنَّفْعِ، وَالْخَيْرِ وَالْإِنْعَامِ؛ مُنْتَصِفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ
وَالْجَمَالِ، مُنْزَرٌ عَنْ كُلِّ شَائِبَةٍ نَقْصٍ وَعَيْبٍ وَفُجْحٍ!

إِنَّ الْقُرْآنَ مَحْفُوظٌ عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى - فِي كِتَابٍ مَصُونٍ مِنْ كُلِّ

سُوءٍ

لَا يَمَسُّ هَذَا الْكِتَابَ الْمَكْنُونُ إِلَّا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ طَهَّرَهُمُ اللَّهُ

تَعَالَى مِنَ الذُّنُوبِ وَالْعُيُوبِ

هَذَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي

لَا مَرِيَّةَ فِيهِ

أَفَبِهَذَا الْقُرْآنِ أَنْتُمْ كَافِرُونَ مُكَذِّبُونَ؟!

وَتَجْعَلُونَ شُكْرَ رِزْقِكُمُ التَّكْذِيبَ؛ فَتَضَعُونَ التَّكْذِيبَ مَوْضِعَ

الشُّكْرِ، وَتُقَابِلُونَ مِنَّةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالْكَفْرِ بِهَا؟!

فَهَلَّا إِذَا بَلَغَتْ رُوحُ الْمَيِّتِ حُلُقَهُ حِينَ خُرُوجِهَا مِنْ جَسَدِهِ

وَأَنْتُمْ -أَيُّهَا الْحَاضِرُونَ عِنْدَ الْمُحْتَضَرِ- تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي سَكْرَاتِ الْمَوْتِ، وَلَا تَسْتَطِيعُونَ رَدَّ رُوحِهِ إِلَى مَوْضِعِهَا وَمَلَانِكُنَا -الَّذِينَ نُرْسِلُهُمْ إِلَى الْمُحْتَضَرِ لِقَبْضِ رُوحِهِ- أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ -أَيُّهَا الْحَاضِرُونَ عِنْدَهُ- وَلَكِنْ لَا تَرَوْنَهُمْ فَهَلَّا إِنْ كُنْتُمْ -أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ- غَيْرَ مَقْهُورِينَ مَمْلُوكِينَ، وَلَا مُحَاسِبِينَ مَجْزِيَيْنَ بِأَعْمَالِكُمْ هَلَّا تَرْجِعُونَ رُوحَ الْمُحْتَضَرِ إِلَى جَسَدِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَى انْكَارِ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ؟

فَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمَيِّتُ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ تَعَالَى فَلَهُ رَاحَةٌ وَسُرُورٌ وَرَحْمَةٌ، وَرِزْقٌ طَيِّبٌ وَطَيِّبُ رَائِحَةٍ، وَلَهُ جَنَّةٌ يَتَنَعَّمُ فِيهَا

وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمَيِّتُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَيُقَالُ لَهُ: سَلَامٌ لَكَ لِأَنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمَيِّتُ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ، الضَّالِّينَ عَنْ سَبِيلِهِ

فَلَهُ ضِيَاغَةٌ مِنْ شَرَابٍ قَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْحَرَارَةِ! وَلَهُ نَارٌ شَدِيدَةُ الْتَوَقُّدِ يُقَاسِي حَرَّهَا إِنْ هَذَا الْمَذْكُورُ عَنِ الْمُقَرَّبِينَ وَأَصْحَابِ الْيَمِينِ وَعَنِ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ، وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ: لَّهُوَ خَبَرٌ أَكِيدُ لَا شَكَّ فِيهِ، وَأَمْرٌ ثَابِتٌ لَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِهِ

فَنَزَرَهُ رَبُّكَ الْمُتَّصِفَ بِكَمَالِ الْعَظَمَةِ -يَا مُحَمَّدُ- عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، قَائِلًا: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ نَزَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ كُلِّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُعْلَبُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ

شَيْءٌ، الْحَكِيمُ الَّذِي يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ الصَّحِيحِ اللَّائِقِ
به

لِلَّهِ وَحْدَهُ سُلْطَانُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي
خَلْقِهِمَا، وَلَا فِي تَدْبِيرِهِمَا وَالتَّصَرُّفِ فِيهِمَا، يُحْيِي مَا يَشَاءُ،
وَيُمِيتُ مَا يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ ذُو قُدْرَةٍ بِالْغَةِ، فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ،
سُبْحَانَهُ

هُوَ وَحْدَهُ الْمَوْجُودُ أَزَلًا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، بِلَا بَدَايَةٍ، وَالْبَاقِي
دَائِمًا بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ بِلَا نِهَايَةٍ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْعَالِي بِذَاتِهِ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْبَاطِنُ الَّذِي لَا شَيْءَ
دُونَهُ، قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ، بِحَيْثُ يَكُونُ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ،
وَهُوَ ذُو عِلْمٍ بَالِغٍ تَامٍ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ

هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي أَوْجَدَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ عَلَا
عَلَى عَرْشِهِ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ غُلُوبًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، يَعْلَمُ
اللَّهُ مَا يَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ فَيَغِيبُ فِيهَا مِنْ مَاءٍ وَبُذُورٍ وَحَيَوَانَاتٍ،
وَأَمْوَاتٍ وَكُنُوزٍ وَغَيْرِهَا، وَيَعْلَمُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ نَبَاتٍ
وَحَيَوَانٍ، وَمَعَادِنٍ وَغَيْرِهَا، وَيَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْأَمْطَارِ وَالْبَرَدِ وَالتَّلُوجِ وَالصَّوَاعِقِ، وَالْأَرْزَاقِ
وَالرَّحَى وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَعْلَمُ مَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
وَالْأَرْوَاحِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَبْخَرَةِ وَغَيْرِهَا، وَاللَّهُ مَعَكُمْ بِعِلْمِهِ
وَإِحَاطَتِهِ، رَقِيبٌ عَلَيْكُمْ، شَهِيدٌ عَلَى أَعْمَالِكُمْ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ كُنْتُمْ
فِيهِ مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحَرٍ، فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ
أَعْمَالِكُمْ، وَسُجَّازٍ بِكُمْ عَلَيْهَا

لِلَّهِ وَحْدَهُ سُلْطَانُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِمَا، وَلَا فِي تَدْبِيرِهِمَا وَالتَّصَرُّفِ فِيهِمَا، وَإِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا إِلَى غَيْرِهِ مَرْجِعُ جَمِيعِ الْأُمُورِ

يُدْخِلُ اللَّهُ ظِلْمَةَ اللَّيْلِ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ، فَيَغِيبُ فِيهِ، وَيُدْخِلُ اللَّهُ ضَوْءَ النَّهَارِ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ، فَيَغِيبُ فِيهِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْبَالِغُ الْعِلْمُ بِضَمَائِرِ عِبَادِهِ وَسَرَائِرِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا آمَنُوا بِاللَّهِ تَعَالَى فَوَجَدُوهُ، وَآمَنُوا بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ فَصَدَّقُوهُ وَأَقْرَأُوا بِرِسَالَتِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ وَاتَّبِعُوهُ، وَدَاوَمُوا عَلَى ذَلِكَ الْإِيمَانِ وَاتَّبَتُوا عَلَيْهِ، وَأَنْفَقُوا مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي اسْتَخْلَفَكُمْ فِيهِ وَجَعَلَهُ عِنْدَكُمْ عَارِيَّةً، فَتَصَدَّقُوا مِنْهُ فِي سَبِيلِهِ، فَأَلْذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْكُمْ، وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الَّتِي اسْتَخْلَفَهُمْ فِيهَا: لَهُمْ ثَوَابٌ عَظِيمٌ

وَمَا الَّذِي يَحْمِلُكُمْ عَلَى عَدَمِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَالْحَالُ أَنَّ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِرَبِّكُمْ الْمُحْسِنِ إِلَيْكُمْ؟! وَالْحَالُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَخَذَ مِنْكُمْ الْعَهْدَ بِالْإِيمَانِ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْوَاضِحَةِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَقِّ؛ لِيُخْرِجَكُمْ بِهَا مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالضَّلَالِ وَالْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْهُدَى وَالْيَقِينِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَبَالِغُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بِكُمْ؛ حَيْثُ أَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ لَهْدَايَتِكُمْ

وَمَا الَّذِي يَمْنَعُكُمْ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِمَّا رَزَقَكُمْ، وَالْحَالُ أَنَّ كُلَّ أَمْلَاكِ الْخَلْقِ صَائِرَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ؟! فَلَا مَعْنَى لِلْبُخْلِ بِشَيْءٍ لَا تُمْلِكُونَهُ حَقِيقَةً، وَأَنْتُمْ عَنْهُ

زَائِلُونَ! لَا يَتَسَاوَى فِي الْفَضْلِ وَالْأَجْرِ مَنْ أَنْفَقَ مِنْكُمْ -أُيُّهَا
 الْمُؤْمِنُونَ- فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَبْلَ الْفَتْحِ -وهو صلح الحديبية- وَقَاتَلَ
 أَعْدَاءَ الدِّينِ، مَعَ مَنْ أَنْفَقَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ! أَوْلَئِكَ -الَّذِينَ أَنْفَقُوا
 قَبْلَ الْفَتْحِ وَقَاتَلُوا- أَفْضَلُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ
 الْفَتْحِ وَقَاتَلُوا، وَكُلُّ مِنَ الْقَسَمَيْنِ قَدْ وَعَدَهُ اللَّهُ الْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، وَإِنْ
 كَانَ السَّابِقُونَ أَفْضَلَ مِنَ الْلَّاحِقِينَ، وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى أَعْمَالِكُمْ
 ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا

مَنْ هَذَا الَّذِي يُنْفِقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ طَيِّبِ مَالِهِ مُحْتَسِبًا فِي
 نَفَقَتِهِ، مُبْتَغِيًا مَا عِنْدَ رَبِّهِ بِلَا مَنٍّ وَلَا أَدَى، فَيُثِيبَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ
 الْإِنْفَاقِ أَجُورًا كَثِيرَةً، قَدْ تَبْلُغُ سَبْعِمِئَةَ ضِعْفٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَلَهُ ثَوَابٌ
 حَسَنٌ، وَجَزَاءٌ جَمِيلٌ!؟

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَمْضِي نُورُهُمْ
 مَعَهُمْ مِنْ أَمَامِهِمْ، وَبِأَيْمَانِهِمْ، وَيُقَالُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ:
 بِشَارْتِكُمُ الْعَظِيمَةَ هَذَا الْيَوْمَ -أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ- جَنَّتْ لَكُمْ
 تَدْخُلُونَهَا، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ؛ مِنَ الْمَاءِ أَوْ اللَّبَنِ، أَوْ
 الْخَمْرِ أَوْ الْعَسَلِ، مَآكِنِينَ فِي تِلْكَ الْجَنَّاتِ، لَا تَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا،
 وَدُخُولُ تِلْكَ الْجَنَّاتِ فِي الْآخِرَةِ وَالْخُلُودُ فِيهَا: هُوَ الرِّبْحُ وَالنَّجَاحُ
 الْعَظِيمُ

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لَأَوْلَئِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ:
 انْتَظَرُونَا وَأَمْهَلُونَا؛ حَتَّى نَلْحَقَ بِكُمْ، وَنَنَالَ شُعْلَةً مِنْ نُورِكُمْ
 !يُقَالُ لَأَوْلَئِكَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ: تَهَكَّمَا بِهِمْ: ارْجِعُوا خَلْفَكُمْ،
 فَاطْلُبُوا مِنْ هُنَاكَ نُورًا لِأَنْفُسِكُمْ! فَضَرَبَ اللَّهُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمُنَافِقِينَ سُورًا حَاجِزًا يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ، لِذَلِكَ السُّورَ الْحَاجِزَ بَيْنَ
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ بَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ، دَاخِلُ ذَلِكَ السُّورِ

مِنْ جِهَةِ الْمُؤْمِنِينَ: فِيهِ الْجَنَّةُ، وَخَارِجُ السُّورِ مِنَ الْجِهَةِ الَّتِي
تَلِي الْمُنَافِقِينَ وَتَبْدُو لَهُمْ: يَأْتِيهِمْ مِنْ قِبَلِهِ عَذَابُ جَهَنَّمَ
يُنَادِي الْمُنَافِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ وَرَاءِ السُّورِ الْحَاجِزِ بَيْنَهُمْ،
وَهُمْ فِي الظُّلْمَةِ وَالْعَذَابِ: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا نُصَلِّيْ وَنُصُومُ
وَنَذْكُرُ اللَّهَ، وَنَدِينُ بِالْإِسْلَامِ، وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا تَفْعَلُونَ؟! قَالَ
الْمُؤْمِنُونَ لَهُمْ: قَدْ كُنْتُمْ مَعَنَا فِي الدُّنْيَا فِي الظَّاهِرِ، وَلَكِنْ بِلَا نِيَّةٍ
صَّحِيحَةٍ، وَلَا إِيْمَانٍ صَادِقٍ؛ فَأَهْلَكْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِالتَّفَاقُ الَّذِي هُوَ
كُفْرٌ بَاطِلٌ! وَانْتَظَرْتُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ حَوَادِثَ الدَّهْرِ وَنَوَائِبَهُ أَنْ
تُهْلِكَهُمْ! وَشَكَّكُمْ فِي الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى،
وَحَدَّعْتُمْ أَمَانِي نَفُوسِكُمُ الْبَاطِلَةَ، فَصَرَفْتُمْ عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ،
حَتَّى جَاءَكُمْ الْمَوْتُ! وَخَدَّعَكُمْ بِاللَّهِ -تَعَالَى- الشَّيْطَانُ

يَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ سَتَرُوا كُفْرَهُمْ: فِي هَذَا الْيَوْمِ
-يَوْمِ الْقِيَامَةِ- لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ عَوَضٌ مِنَ الْمَالِ بَدَلًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ؛
فِيخْلَصُكُمْ مِنْهُ، وَلَا يُؤْخَذُ أَيْضًا عَوَضٌ مِنَ الَّذِينَ أَظْهَرُوا
كُفْرَهُمْ؛ فَلَا خَلَاصَ لَكُمْ مِنَ النَّارِ، فَأَنْتُمْ جَمِيعًا مُشْتَرِكُونَ فِي
الْكُفْرِ! مَنْزِلُكُمْ وَمُقَامُكُمْ الَّذِي تَصِيرُونَ إِلَيْهِ وَتَسْكُنُونَ فِيهِ: النَّارُ،
هِيَ قَرِينَتُكُمْ الَّتِي تَلَازِمُكُمْ وَتَضُمُّكُمْ إِلَيْهَا، وَمَوْضِعُ قُرْبِكُمْ،
وَمَصِيرُكُمْ؛ فَلَا مَصِيرَ إِلَى سِوَاهَا! وَبِئْسَ الْمَرْجِعُ النَّارُ!

أَمَّا حَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَلِينَ قُلُوبُهُمْ وَتَرَقَّ وَتَخْضَعَ وَتَذِلَّ لِذِكْرِ
اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَأَلَّا يَكُونُوا كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ
أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ -التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ- الْمَوْجِبَ لَخُشُوعِ
الْقَلْبِ وَالْإِنْقِيَادِ التَّامِّ، مِنْ قَبْلِ نُزُولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَيْكُمْ، فَطَالَ
عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ الزَّمَانُ، فَفَسَتْ بِسَبَبِ طُولِ الزَّمَانِ قُلُوبُهُمْ،

فصارت غليظة لا تلينُ لذكرٍ، ولا ترقُ لِمَوْعِظَةٍ، وكثيرٌ منهم
خارجون عن طاعةِ الله، ضالّون عن الحقِّ والهُدَى
اعلموا أنَّ الله تعالى يُحيي الأرضَ بعدَ يُبْسِها وجَدْبِها، بالماءِ
المُنزَّلِ مِنَ السَّمَاءِ، فكذلك يُحيي اللهُ القلبَ بعدَ قَسْوَتِهِ وصلابَتِهِ،
بالوحي المُنزَّلِ مِنَ السَّمَاءِ، قد أَوْضَحْنَا وأظْهَرْنَا لكم الآياتِ
الدَّالَّةَ على الحقِّ؛ لِتَعْقِلُوا وَتَتَّعِظُوا وَتَعْمَلُوا بِمُوجِبِ ذَلِكَ
إِنَّ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقَاتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ طَيِّبِ أَمْوَالِهِمْ
مُحْتَسِبِينَ فِي إِنْفَاقِهَا، مُبْتَغِينَ مَا عِنْدَ رَبِّهِمْ بِلَا مَنٍّ وَلَا أَدَى-
يُنْبِئُهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ الْإِنْفَاقِ أَجورًا كَثِيرَةً، قد تَبْلُغُ سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ
أَوْ أَكْثَرَ! وَلَهُمْ ثَوَابٌ حَسَنٌ، وَجَزَاءٌ جَمِيلٌ
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ هُمُ الصِّدِّيقُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَايَةِ
الصِّدْقِ وَكَثْرَةِ التَّصَدِيقِ لِمَا وَجَبَ التَّصَدِيقُ بِهِ، فليس في قُلُوبِهِمْ
أَدْنَى شَكٍّ، وَالشَّهَدَاءُ: لَهُمْ ثَوَابُ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، وَلَهُمْ نُورُهُمْ،
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِ الْفُرْآنِ الدَّالَّةِ عَلَى
الْحَقِّ: أُولَئِكَ مُلَازِمُونَ لِلنَّارِ الشَّدِيدَةِ النَّوْقِ
اعلموا أَنَّ حَقِيقَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَنَّهَا لَعِبٌ وَهَزْلٌ بَاطِلٌ مُنْقَطِعٌ
لَا دَوَامَ لَهُ، وَلَهُوَ يُلْهِي وَيَفْرَحُ النَّاسُ وَيَتَلَذَّذُونَ بِهِ، ثُمَّ يَنْقَضِي!
وَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا زِينَةٌ تَتَرَيَّنُونَ بِهَا، وَتُسْتَطِيبُونَ شَهَوَاتِهَا،
وَتُسْتَحْسِنُونَ مَنْظَرَهَا وَرُخْرُقَهَا، وَهِيَ تَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ؛ فَيَفْخَرُ
بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِمَا حَصَّلَهُ مِنْهَا! وَهِيَ تَكَاثُرُ؛ تَتَكَاثَرُونَ فِيهَا
مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَتَتَبَاهَوْنَ فِيهَا بِكَثْرَةِ ذَلِكَ بَيْنَكُمْ! كَمَثَلِ
مَطَرٍ جَاءَ بَعْدَ قُطُوفِ النَّاسِ، فَأَنْبَتَتْ بِهِ الْأَرْضُ الْمُجْدِبَةَ زُرُوعًا
اسْتَحْسَنَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ يَبْتَدِئُ ذَلِكَ الزَّرْعُ بِالْجَفَافِ وَالْيُبْسِ، فَيَرَى
بَعْدَ تَمَامِ خُسْرَتِهِ وَنُضْرَتِهِ ذَابِلًا مُصْفَرًّا اللَّوْنَ! ثُمَّ يَصِيرُ بَعْدَ

تَنَاهِي جَفَافِهِ وَيُبْسِيهِ فُتَاتًا مُتَكَسِّرًا! وفي الآخِرَةِ يَقَعُ عَذَابٌ شَدِيدٌ عَلَى الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ -تَعَالَى- وَبِرُسُلِهِ، وَفِي الآخِرَةِ تَكُونُ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ الَّذِينَ سَعَوْا لِلآخِرَةِ سَعْيَهَا، وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يُحِلُّهُ عَلَى أَهْلِ جَنَّتِهِ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ يَتَمَتَّعُ بِهِ النَّاسُ زَمَنًا قَلِيلًا!

سَابِقُوا غَيْرَكُمْ وَبَادِرُوا إِلَى عَمَلٍ مَا يُوجِبُ لَكُمْ تَحْقِيقَ الْمَغْفِرَةِ مِنْ رَبِّكُمْ لَذُنُوبِكُمْ، فَيَسِّرُهَا عَلَيْكُمْ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مُوَآخَذَتِكُمْ، وَسَابِقُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَوْ بُسِطَتْ وَوُصِلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ! أُعِدَّتْ تِلْكَ الْجَنَّةُ وَهَيِّئَتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ تَعَالَى، وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. دُخُولُ تِلْكَ الْجَنَّةِ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَاللَّهُ يُعْطِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، وَاللَّهُ صَاحِبُ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَالتَّوَابِ الْكَبِيرِ

مَا وَقَعَ فِي الْأَرْضِ مِنْ مُصِيبَةٍ، كَقَحْطِهَا وَهَلَاكِ زَرْعِهَا وَتَمَرِّهَا، أَوْ فِي أَنْفُسِكُمْ، كَالْأَمْرَاضِ وَالْأَوْجَاعِ، وَالْفَقْرِ وَالْمَوْتِ- إِلَّا وَهِيَ مَكْتُوبَةٌ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْلُقَ ذَلِكَ، إِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ سَهْلٌ وَهَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ؛ لِإِحَاطَةِ عِلْمِهِ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ

أَخْبَرْنَاكُمْ بِأَنَّ كُلَّ مُصِيبَةٍ تَقَعُ فِيهِ فِي كِتَابٍ؛ لِكَيْلَا يَشْتَدَّ حُزْنُكُمْ عَلَى شَيْءٍ فَاتَكُمْ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، وَلِكَيْلَا تَفْرَحُوا فَرَحَ بَطَرٍ وَفَخْرٍ عَلَى غَيْرِكُمْ بِمَا أُعْطَاكُمْ اللَّهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُتَكَبِّرٍ فِي نَفْسِهِ بِمَا أُوتِيَ مِنَ الدُّنْيَا، فَخُورٍ بِهِ عَلَى النَّاسِ

وهم مع اختيالهم وفخرهم هذا يبخّلون بما أوثوه من نعيم، فيمتنعون عن إخراج ما وجب عليهم بذله منها، ويأْمرون غيرهم بذلك، ومن يُعرض فإن الله هو العني عن خلقه غني تاماً مطلقاً؛ المحمود في ذاته وأسمائه وصفاته، وأفعاله وأقواله، كثير الحمد لمن يستحق الحمد منه

لقد أرسلنا رُسُلنا بالْحُجَجِ والبراهين الواضحة الدالة على صدقهم، وأنزلنا مع رُسُلنا الكتاب بالحق، وأنزلنا معهم العدل؛ ليتعامل الناس به بينهم، وخلقنا الحديد، فيه قوّة وصلابة شديدة، ومنه تُصنع آلات الحرب، وفي الحديد منافع كثيرة للناس في معاشهم وحاجاتهم المتنوّعة، وليعلم الله - علم رؤية وظهور للوجود يترتب عليه الثواب والعقاب - من ينصر دين الله، وينصر رُسُلَه، بالغيب، إن الله ذو القوّة البالغة فلا يعجزه شيء، وذو العزّة التامة فيمتنع عليه كل عيب وسوء ونقص؛ فهو الغالب القاهر الذي لا يُغلب ولا يُقهر!

ولقد أرسلنا نُوحًا وإبراهيمَ إلى قومهما، وجعلنا في نسلِ نُوح وإبراهيمَ جميع الأنبياء والكتب الإلهية من بعدهما؛ كالْتُوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن، فمن ذرية نُوح وإبراهيم من هو مُهتدٍ إلى الحق، وكثير من ذريتهما خارجون عن طاعة الله، ضالّون عن طريق الحق والهدى

ثم أتبعنا على آثارهم رُسُلنا إلى أقوامهم، فأرسلناهم واحدًا تلو آخر، وأرسلنا من بعدهم عيسى ابن مريم، وأتيناها الكتاب المُسمّى بالإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوا عيسى على دينه رقةً وليباً ورحمةً ورهبانيةً ابتدعوها من عند أنفسهم، ولم نفرضها عليهم؛ فاعتزلوا الناس، ورفضوا الزواج، وتركوا

الدُّنْيَا، وَأَتَرُوا الْعُكُوفَ وَالتَّقَرُّعَ لِلْعِبَادَةِ فِي الصَّوَامِعِ أَوْ الْجِبَالِ
أَوْ غَيْرِهَا !مَا ابْتَدَعُوهَا إِلَّا طَلَبًا لِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى، فَمَا رَعَوْا تِلْكَ
الرَّهْبَانِيَّةَ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا الرَّعَايَةُ الْوَاجِبَةُ، وَمَا قَامُوا بِهَا حَقَّ
الْقِيَامِ، فَاتَيْنَا الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ ثَوَابَ إِيْمَانِهِمْ، وَكَثِيرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ
خَارَجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، ضَالُّونَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْهُدَى
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ بَامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ،
وَحَقِّقُوا الْإِيْمَانَ بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَانْتَبِهُوا
عَلَيْهِ -يُؤْتِكُمُ اللَّهُ نَصِيبِينَ كَبِيرَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ
نُورًا بِالْقُرْآنِ وَاتَّبَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَهْتَدُونَ بِهِ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَسْتُرُ اللَّهُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مُؤَاخَذَتِكُمْ،
وَاللَّهُ هُوَ الْبَالِغُ الْمَغْفِرُ وَالرَّحِمَةُ لِعِبَادِهِ

يُؤْتِكُمُ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الثَّوَابَ إِنْ اتَّقَيْتُمُوهُ وَأَمَنْتُمْ بِرَسُولِهِ؛ لِكَيْ
يَعْلَمَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
الَّذِي يُرِيدُهُ لِلْمُسْلِمِينَ؛ مِنْ تَضْعِيفِ الْأَجْرِ، وَالنُّورِ، وَالْمَغْفِرَةِ،
فَلَا يَمْلِكُونَ مَنَعَهُ أَوْ إِعْطَاءَهُ، وَلِكَيْ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّ كُلَّ
الْفَضْلِ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَيُعْطِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَفَقَّ
حِكْمَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَاللَّهُ صَاحِبُ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، فَيَتَفَضَّلُ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ بِمَا يَشَاءُ مِنْ نِعَمِهِ الْكَثِيرَةِ الْعَظِيمَةِ